

أقلام مصرية
(١٤)

هشام قاسم

أيام زمان.. أين أنت

قصص قصيرة



أيام زمان.. أين أنت؟!

قصص قصيرة

د. هشام قاسم

أيام زمان .. أين أنت ؟!

مجموعة قصصية





الكتاب : أيام زمان .. أين أنت ؟!
مجموعة قصصية

الكاتب : د. هشـــــام قاســـم

الناشر :




اتحاد الكتاب
١١ أ ش حسن صبرى - الزمالك - القاهرة
ت : ٣٤١٦٥٥٠ - ٣٤١٩٨٦٨

مركز الحضارة العربية
٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات - القاهرة
ت : ٣٤٤٨٣٦٨ ، ف : ٣١٤٨٠٤٢

الطبعة الأولى : ٢٠٠٠
رقم الإيداع : ٢٠٠٠/١٤٩٠٧
الترقيم الدولى، I.S.B.N.977-291-242-2

الغـــــلاف : محمود الهنـــدى
جرافيــــك : أرت سمـــــارت

الجمع والصف الالكترونى :
وحدة الكمبيوتر
بمركز الحضارة العربية
تنفيـــذ : سيد عبد الفتـاح حرزاوى
تصحيـــح : كمـــال عبـد الرســـول

ابعد

ـ ابعد.

قالتـها بعلو صوتها وبعـصبيـة شديدة بعد أن كانت لا تسـتطيع إخراج صوتها أو اللفظ بحرف واحد.

جـاءوا بى إليهـا. امرأة تخطت السـتيـن من عمـرها.. مغـمى عليهـا.. تستنشق أنفاساً عميقة وبطيئة. الوجه هادئ منبسط الأسارير لايدل على أية معاناة. يحيـط البكاء والنحيب بها من كل جانب. كشفت عليـها وتبين لى أن لديها هبوطاً حاداً فى الدورة الدموية وانخفـاضاً شديداً بالضغط. عبأت أمبـولاً فى السرنجة ثم مـاكدت أحقن جـزءاً من العبوة لا يتـجاوز النصف سنتى حـتى فاقت وتقلبت فى الفـراش وانسحب سن الإبرة منهـا. جلست فى مكانها، وذهـل الواقفون كـأنهم يرون معجـزة إلهية. وأنا مـثلهم.. فلم أكن أتصـور أن يكون لهـذا الجـزء الضـئيل من الحـقنة هذا الأثر. مـاذا لو أكملتها. ستنطلق فى الدنيا مثل العدائين الكبار إذن. غرزت السن فوجئت بقوة كبيرة تدفع يدى عن إتمام الحقنة، وتمكنت من إبعادها عنها.

لعل التـوتر الذى يلم بالمفـيق لحظة إفـاقـته هو السـبب.. انتظرت حـتى هدأت مـا كاد سن الإبرة يلمس جـسدها هذه المرة حـتى انتبـهت وأزاحت يدى من جديد.

أعدت الانتظار حتى اسـترخت تماماً.. لدرجة أنهـا دخلت فى الإغماءة من جديد.. عبـأت الأمبول وما أن هجمت عليهـا بسـن الإبرة.. حتى قامت ورفستنى بعيداً.

صاح زوجها:

ـ وبعدين معاكي.. ماتسيبى الراجل يديكى الحقنة.

ـ مش عايزاها حرام عليكم.. سيبونى بقى.

ـ يعنى ايه مش عايزاها.. عايزة الموت يعنى؟.

ـ عايزاه سيبونى أقابله.

أشار إلى أولاده ليمسكوا بها . لم يتحركوا. صاح فيهم:

ـ اتحركوا.

لم يتحركوا. صاح فيهم من جديد:

ـ يابهايم اتحركوا وامسكوها.

تحركوا متخاذلين وأمسكوا بها وهم يعتذرون لها:

ـ معلهش ياماما.

تصرخ وتصيح: سيبونى.

بدأت الاقتراب منها بسن الإبرة. ازداد غضبها حتى ولولت باكية.

ففك أبناؤها سواعدهم من عليها. اعتدلت فى جلستها ونظرت إلىّ بعينىّ قط متحفز للانخفاض على غريمه.

فسألنى أحد الأبناء:

ـ لابد من الحقنة؟.

قلت: بكل تأكيد وإلا ستعاودها الأزمة وتدخل فى الغيبوبة من جديد وتفقد الحياة.

قالت وهى تزوم:

ـ أمشى.. روح لا عايزه برشام ولا حقن.. سيبونى فى حالى.

لم أتحمل هذا الوضع.. وضعت السماعة والسرنجة فى الحقيبة وأغلقت عليهما. هممت بالانصراف. التف الأبناء حولى معتذرين:

ـ معلش يادكتور.

ـ وما المطلوب منى؟

ـ عالجها.

ـ علاجها فى الحقنة.

ـ لازم يعنى؟

قلت: لابد.

صاح الأب.

ـ بلاش مياصة.. ودلع.. امسكوها مسكة رجالة خلوا الدكتور يشوف شغله.

تجمع الأبناء عليها، ولفوا أذرعتهم من حولها. لوحت بساعدها والتوى جسدها. صرخت بكل أنين: حشونى يا أولاد.

ارتجف الأبناء لصرختها؛ وتراخت إرادتهم فى تكبليها.

اخترقتهم ومضت والكل من ورائها حتى وصلت إلى الشرفة.

اقترب ابنها منها دامعاً:

ـ والنبى ياما تاخدى الحقنة.. ماانت طول عمرك بتاخديها ماعملتيش كده.

يقبل يدها آخر.. وثالث يعانقها. تركع ابنتها تحت قدميها:

ـ ياما ده احنا ماضايقنكيش بكلمة.. ليه بقى المعاندة والعند.

الكل يترجاها.. ولزمت هى الصمت باكية.

عندما اطمأن ابنها الأكبر من هدوئها نادى علىّ. تقدمت بخطى وئيدة حتى صرت على مقربة منها لايفصلنى عنها سوى أولادها المحيطين بها على شكل دائرة.

أمسك بيدى ابنها الأكبر ودفعنى نحوها.

ما أن رأتنى حتى ثارت كأننى اقتحمت عرينها. مدت ساعديها نحوى لتدفعنى. صاحت:

ـ ابعد.

قلت: لو لم تأخذى العلاج ستموتين. فقالت:

ـ أنا كنت خلاص ماشية.. انت اللى حشتونى.

تقدم زوجها إلى باب الشرفة.. ثم صاح:

ـ امسكوها ياأولاد الكلب.. خلى الراجل يشوف شغله.. امسكوها مستنيين إيه.. عايزين أمكم تروح مننا.. امسكوها يا أولاد الكلب، وفعلاً أمسك أولادها بها كالكلاب التى تقبض على فريسة. صاحت المرأة مولولة:

ـ الحقونى يا أولاد.

فتوقف السائرون فى الشارع وفتحت النوافذ أبوابها.. كل الخلق يتابعون المشهد الذى يدور بينى وبينها.

نظر كلانا للآخر. أشعرتنى أننى رجل من رجال الصرب يغتصب إحدى نساء البوسنة. توقفت يدى عن غرز سن الإبرة.

ـ مش عايزاك.. امشى يا أخى. لو عندك كرامة ابعد.

فجأة ضاع منى كل العزم الذى بداخلى نحوها.. صرت خائر القوى أحمل جثتى بالعافية. استدرت مبتعداً بخطى متثاقلة نحو الخارج والكل من حولى يصيح لأبقى.

أمسك بيدى الابن وجذبنى نحو حجرة الجلوس وطلب منى أن أحتسى فنجاناً من القهوة. حاولت سحبها من يده لأمضى فى طريقى مبتعداً.. كفى ما أصابنى من إهانات. لكنها مقاومة تلكوئية لحفظ ماء الوجه. ففى حقيقة الأمر أن رغبة اعادة التقدم نحوها مازالت لدى لأنفذ مايفرضه علىّ واجبى كطبيب.. إنقاذ حياة إنسان.

احتسيت فنجان القهوة كما طلب.. ثم قمت وملت باتجاه الباب الذى يطل على الخارج. بعد أن ترجانى وافقت على العودة إليها.

وكما حدث عندما كانت فى الشرفة دفعونى نحوها وسط السياج

البشـرى المحيط بها بقلب مرتجف فـعلاً هذه المرة. كانت نائمـة بوجه هادئ صاف يختلف عن الوجه الشرس الذى أظهـرته لى.. تماماً كما رأيته قبل أن أبدأ فى غرزها بسـن الإبرة.. لكن هذه المرة أنظر بعين متـأملة تحاول أن تفهم سر سكينة تلك المرأة التى تتدهور صحتها.. وتنسحب منها الحياة مع الوقت.

انتابنى شـعور أننى أقف فى مـعبد مـقدس وأن الواقفـين من حولى هم أعمدة هذا المعبد ورهبانه. شعـرت بجناح ملك يضرب بأجنحته أعمدة هذا المعبد ورهبانه.

أسارير وجـهـهـا تنبسط. لقفـت نفساً فـارتجف جسـدها وأصدرت آهة غريبة.. كالآهة التى تصدرها المرأة عندما يرتوى جسدها.. كما كانت تلتقى بعاشق لا تراه ولا تعرفه.

توقفت يدى عن إنهـاء هذا المشهد بالحقنة التى بهـا. واجبى أن أنصرف ولا أفسد عليها هذا اللقاء المتألق.

استوقفنى الزوج: أتمضى دون أن تعالجها بشىء.

قلت: لقد اقتنعت أن الخير يقتضى عدم تدخلى.

مـضيت. وفى الطريق تـتـابعت صـورتا وجهـها على مـخيلتى.. الوجـه المرتاح كصفحة الماء الذى كانت عليه قـبل أن أقتحم عليها راحتها الأبدية.. والذى فى النهاية ودعتها عليه.

والوجه الفـزع الذى يتقلص كـجبـال وعرة عند رؤيتى مع كل مـحاولة مستـميتة أقـتحم فيها جـسدها بالسن المدبب. فى اليوم التالى جـاءنى ابنها يطلب منى روشتة بالعلاج وحالتها الصحية لتقديمها إلى مكتب الصحة.

أنبأنى أنها قضت الليلة وهى فى حالتها السـاكنة التى تركتها عليها تلقف أنفاسا مطمئنة دون أن تئن بآهة ألم واحدة.

وفى الصباح وجدوها بلا أنفاس ●

سالب وموجب

موجب.. موجب.. سالب.. سالب.. سالب.. موجب.. موجب.. موجب.. سالب....؟.. كل الحكاية سالب وموجب.

***

موجب

** إذا كانت البداية بالموجب فهذا شيء مقبول برغم إنها بداية مزعجة لكن الأيام كفيلة بتغييرها.

***

موجب

** لا تخف أنت مازلت في بداية الطريق إذا تكرر الإيجاب فهذا التكرار مؤقت مصيره إلى الزوال بإذن الله.

***

سالب

** ها أنت أملك تحقق وصارت العينة سلبية ألم نقل لك لا تنزعج. أظن أنك سعيد ياسيد نبيه؟.

- الا سعيد.. علام دخولى المستشفى إذن؟ مستوصف الصدر عندما أجرى لى تحليل البصاق الدورى ووجده ايجابياً لميكروب الدرن على الفور قام بتحويلى إلى المستشفى. قلت للدكتور: المستشفى مرة ثانية. قال لى: ثالثة ورابعة وعاشرة طالما أن تحليل بصاقك إيجابى.

** انتظم فى علاجك تتخلص من تلك المشكلة؟.

- المشكلة أننى إذا خرجت من المستشفى للدنيا أنستنى الدنيا حالى

وعلاجى وصار همى الأول «أكل العيش».

هكذا تحول سيد نبيه إلى حالة درنية مزمنة لا ينفع معها العلاج سوى تحويل بصاقه من إيجابى إلى سلبى عندما يختفى منه ميكروب الدرن فتقل بذلك فرصة عدوى الآخرين.

وسلبية البصاق تفتح ينابيع الحياة عند سيد وتجعله قادراً على الاختلاط بالبشر. أول شىء يفعله يخلع الأغطية الثقيلة التى يرتديها ويكتفى بجلباب «على اللحم» حتى فى أشد أوقات الشتاء برودة. يصحو فى الفجر مبكرا قبل أى فرد بالعنبر ويأخذ دشاً صاقعاً.

إذا همت الشمس فى الظهور هم معها يدور فى حديقة المستشفى جاريا حتى إذا علت فى السماء من فوق الأشجار توقف.

يدخل عنبره. يأخذ علاجه. يتناول إفطاره، ويشرب سيجارتين مع كوب الشاى. ثم يبدأ فى إيقاظ زملائه مرضى العنبر بشد أصابع الأقدام أو جذب الآذان.

فى إحدى المرات كان نومهم عميقاً فمر على كل واحد يوشوشه فى أذنه »:قم الدكتور يقول إن بصاقك طلع إيجابى. فقاموا فزعين: «بقى انت سلبى ونحن كلنا إيجابيون».

ثم يبدأ دوره كقائد مقام العنبر. يمر على المرضى يتابع علاجهم بقائمة معه تركتها له الممرضة. يذكر كل واحد بما نسيه. أنت نسيت أقراص «ا ن هـ» وانت «أزماسيد»، وانت لك حقنة «أنسولين» لا تفطر.. حتى أوقظ الممرضة لكى تأخذها. ،يصعد سكن الممرضات.. دب.. دب.. إلى أن تصحو واحدة. قمن وشفن شغلكن أتظللن نائمات إلى متى؟ عيان الأنسولين ومرضى البنسلين أنسيتنهم؟. أنا جهزت السرنجات فلتأت إحداكن ورائى.

يضع يديه فى جيبه ويتقدمهـا فى السير حتى يصل إلى العنبر. يشير إلى المرضى الذين يحـتاجـونهـا. لديه قائمـة أخرى بأسـمـاء المرضى المطلوبين لتحليل البـصاق، وسرعة الترسـيب يخرجها ويطلب منهم أن يمـتنعوا عن الإفطار حتى يقـوموا بالتحليل إذا مـا جاءت الساعة الـتاسعة تقـدمهم إلى المعمل ومعه الورقة التى وقع عليها الطبيب بالأسماء المطلوبة للتحليل.

دوره الطبى لا يقف عند التنظيم بل ويمتـــد إلى النصح والإرشاد. فإذا مـا اشتكى مـريض من مغص نصحـه بقرص «بلاسـيد»، وإذا اشـتكى من كـرشة نفس وصـف له قرص «الأمـينوفـيللين». «صـدقونـى الدكتـور لن يعطيكم حاجـة زائدة». «وإذا التقى بالطبيب بعدها مضـى نحوه مهللاً: «أنا مـريح حضـرتك.. أراعى العيـانين بحيث لا يحـتاجـون لأى شىء. أرح نفسك فى النوبتجية ولا يهمك لن نطلبك إلا فى الشديد القوى».

الشديد القوى تسبب فيه مرة. نصح مريضاً بقـرص «أمينوفيللين» ولم تستجب حـالته. نصحه بقرص آخـر. ظلت كرشة النفس كمـا هى فنصحه بأمبول أمينـوفيللين أعطاه له فتدهورت حالته جـداً. أتى الطبيب وشاط منه الغضب: «من قال لك تنحشر انت حتة عيان». انزوى بعدها لا يتحدث مع زملائه، ويختفى من الطبيب. امتنع عن علاجه. قال له جاره المجاور لسريره:

ـ ما انت غلطان ياسيد.. الرجل كاد أن يموت.

ـ بقى خـلاص نسيـتم خدماتـى لكم، ونـسى الدكتـور ما فـات.. كثـيرا ماأرحته.. ما كبار الدكاترة كثيراً مايخطأون.

لكن ما أن تقع عـيناه على ضحيـته حتى يفـر من أمامه بسرعـة والخجل يكاد يبلل ملابـسه: «معقـول أنا المريض الضعـفان كنت سأكـون قاتلاً ولمن لواحــد قـاض علـيـه المرض مـثــلى».حـتى جـاءه المريض بـعــد يومـين يعـانقـه: «ولا يهمك أهم حـاجـة إن قلبك كـان علىّ.. كل مـاتملكه النوايا

الطبية ياسيد». لكن الواقعة. «جعلته يهجر مهنة الطب». كيف يهدد حياة مريض وهو أعلم الناس بمدى جهاده للحفاظ عليها. عمل كأخصائى اجتماعى لزملائه.

ـ لازم تأخذ إجازة كل خميس وتروح لبيتك ولامرأتك. الرجل عندما يضعف ينزل من عينى امرأته. لذلك لازم تروح وتسد وتبين إنك مازلت سبعاً.

ـ اسمع كلامى اقعد فى المستشفى وخذ علاجك وأجِّل حكاية الشغل لا تقع فى الخطأ الذى وقعت فيه. قطعت العلاج من أجل الشغل. وعندما اشتغلت تعبت ولم أعد قادرًا على العمل.

ـ انس موضوع زواجك وفكر فى صحتك لكى تستطيع إكمال مشوار الزواج فيما بعد.

ـ قدم على طلب معونة من الإخصائية الاجتماعية طالما أبوك تأخر فى ارسال الفلوس.. يمكن ظروفه صعبة.

ـ كيف تحرمك من زيارة الأولاد.. ماذا عن الدكاترة والممرضات القاعدين معنا ليلاً نهاراً.. ابعث لأبيك يحضرهم معه.

وتم اختياره لوظيفة أخرى أمنية.. حراسة عهد الممرضات بالعنبر من بطاطين وملايات ومخدات.. إلخ. وإذا مارفض تلك المسئولية: «وأنا مالى ماذنبى تحميلينى تلك المسئولية» حدثته بأسلوب هادئ يحرك مشاعره: «يرضيك ياسيد أن أنضر بسبب الخدمات التى أوفرها لكم؟. يارب يشفيك ياسيد».

ـ بس قولى أظل سلبياً على طول.

السعادة كل السعادة إذا ماطلب منه طبيب إصلاح الكهرباء الذى يتكرر بسكن الأطباء. من وسط عشرات الفيوزات بالتابلوه يلتقط العطب ويحدده

بمفـرده. يدور بالسكن يـبحث عـن أى أعطاب أخـرى.. لمبـات النيـون العاطلة.. إصلاح التـوصيلات الكهربائيـة.. باريزة لاتوصل الكهرباء. لديه أيضاً خبرة بالسباكة.. بس على الدكتور أن يؤشر بإصبعه، ومهارة يديه تمتد نحو الطبيخ. شهـرته وصلت إلى الطبيب النوبتـجى بيوم الخمـيس. جرب أكلة منه فـالتهـمهـا عن آخـرها.. لذلك تم الاتفاق علـى معـاهدة بينهمـا: يواصل صولاته وجـولاته فى الطبيخ مـعه كل خمـيس مقـابل أن يسمح له بإذن خروج مفـتوح إلى منتصف الليل ليـقوم بنزهته الأسبـوعية. مع ازدياد الشهـرة أصبح سـيد مـحجـوزاً لدى كل عنبر فى يوم مـحدد فى الأسـبوع كطباخ بريمو.

وسـيد أيضـاً لديه قلب محب. لـكنه يعرف أن حب المريض له حـدود. عـصرا عنـدما تدخل الشـمس من نافـذة حـجـرته يعكس إشـارات الهيـام الضوئية من على سطح الزجاج نحو حبيبته بعنبر الحريم.

وعند الليل يختـفى فى حجـرة مظلمة بالعنبـر. يخرج زجـاجة من تحت الجلبـاب. يبدأ فـى صب نخب الانتصـار على المرض بتـحـول بصاقـه إلى السلبى.«أهو.. أنت.. جـدع بحق وحقيـقى ياسيد. لايوجـد من هو أجدع منك.. طوال ما أنت سلبى طوال ما أنت جدع».

فعلاً ياسـيد طالما كان تحليلك سلبياً الجـدعنة كلها تكون عندك. لاننسى اليوم الذى أخذت تدور فيه على العنابر تبـحث عن اسطوانة أكسجين حتى وجدتها وصـعدت بها إلى الدور الرابع لمريضتك المحبـوبة عندما كانت بين الحياة والموت. وفى مرة أخرى عندما احـتاج مريض إلى أمبول «ديكادرون» غيـر موجود بالمسـتشفى أخـذ بعضـه من سكات واشتراه من الخـارج وعاد وأعطاه للمريض دون أن يسأل عن ثمنه.

***

سالب.. سالب

** خروج ياسيد.. تأكد أنك لن تنقل المرض علاوة على ذلك صحتك أحسن بكثير. أهم شيء تتابع علاجك بالمستوصف.

وخرج سيد وهو سعيد بالنتيجة التى وصل إليها ثلاث مرات سلبية متتالية نتيجة هائلة. لكن امرأة أخيه لا تطيق جلوسه عندهم بين أولادها: «إلى متى ياسيد ستظل بلا شغلة ولا مشغلة». خرج مع أخيه يعمل فى النقاشة لم يتحمل رائحة الدهان التى أجهدت صدره. عاد للجلوس بالمنزل. لم تطقه. خرج يبحث عن عمل ولم يجد. عاد للعمل مع أخيه لم يتحمل. اضطر للجلوس بالبيت لم تتحمل زوجة أخيه. أخوه كلم صديقاً يعمل بورشة ميكانيكى ذهب إليه. عمل لديه أسبوعاً من الصباح حتي العاشرة مساء. بعد انتهاء اليوم السابع بصق دماً. ذهب إلى المستوصف.

***

موجب

** لا فائدة منك ألم نقل لك انتظم فى العلاج ومارس عملاً خفيفاً. بتلك الطريقة لن ينفع معك العلاج لابد أن تدخل المستشفى.

وفى أبعد ركن من العنبر اختار سريره. يجمع كل بطاطين الأسرة الشاغرة ويتغطى بها، وبالذات ليلاً عندما يشعر بالبرودة لارتفاع حرارته. قل أن يترك مخبأه بالسرير. أول من ينام وآخر من يصحو. فقد شهيته لتناول ا لطعام بل قام بتوزيعه على زملائه. حديثه معهم فى الضرورة فقط. فقد مكانته بالعنبر لم يعد مسئولاً عن شيء.. لا عن متابعة مواعيد علاج المرضى ولاذهابهم معه إلى معمل التحليل. بل إن الآخرين أصبحوا مسئولين عنه يذكرونه بمواعيد علاجه. لم يلزم نفسه بأى مسئولية سواء كانت الحفاظ على عهدة المرضة بالعنبر أو إصلاح أعطاب سكن الأطباء..

«أنا مسئول عن حاجة واحدة فقط أن أعود سلبياً».

هكذا يقضى يومه بالسرير. ينظر من خلال زجاج النافذة نحو العالم يتابع الشمس التى كان يخرج ليشاركها اللف والدوران، والليل الذى كان يتسحب نحوه فى أمسياته المقمرة ويفترش الأرض تحت الضوء الفضى مع زملائه.. ويختفى منه عندما يشتد ظلامه ليشرب النخب بحجرته. يراقب حركة الداخلين والخارجين من المستشفى ويتابع الطبيب والممرضات ـ الذين انقطعت معهم علاقة الصداقة: وأصبحت رابطة مريض بطبيبه ـ حتى يختفوا.

الحبيبة هى الآن التى تعكس الأشعة نحوه ولا يبالى. يشاهد التليفزيون من حين إلى آخر.. يستمع إلى الإذاعة.. يتحدث إلى زملائه فى اختصار وتفكيره كله هناك فى اليوم الذى يعود فيه التحليل سلبياً.

***

موجب

** لا تقلق تحول بصاقك تلك المرة سيأخذ وقتاً أطول بعكس المرات السابقة. الميكروب أصبح أكثر مناعة.

نظر من خلال النافذة وتطلع إلى السماء المظلمة وتساءل هل الأمل.. هذه المرة فى السماء عال كالنجوم وأنا فى الأرض لن أطاولك. أم أقرب كقرب القمر.

***

سالب

** أملك تحقق حافظ عليه ياسيد.

وعاد سيد البطل الذى يصحو قبل الشمس ويستحم بالماء البارد، ويخرج مع ظهورها يدور معها فى حديقة المستشفى.

وعـاد سيـد الجـدع يخدم المرضى يذكـرهم بمواعـيد العـلاج ومـواعيـد التحليل. يرعى عهدة الممرضة. يسهل عمل الطبيب. يصلح أعطاب سكنه.

في العصـر يحب مع الإشارات المتـبادلة بالأشـعة المنعكسـة، وفي الليل عندما يـشرب الكأس يدعو الله: «لاتحـرمني من تلك النعمـة.. سلبي يارب وإلى الأبد» ●

بسم الله .. ماشاء الله

غنت الزوجة وهى ترى وجه زوجها الجديد:

ياقمر ياجميل

يابدر مدور

يانور السما يهل من عيونك

ياورود العالم اتزرعت على خدودك.

يابحار الدنيا ترمى موجها على شطوطك.

ياابتسامتك على خدك كنهر مالهوش حدود.

ياخصلات شعرك كالعود الأخضر نامى ومتفرع.

يالونك من النهار.

وسكوتك من الليل.

ياملك متربع على عرشه.

لكنه غلبان فى طبعه.

سكتت الزوجة ورأسها بين كفيها. نظر الزوج الراقد على الفراش نحوها ممتناً، وطلب منها أن تزيد من غناها فأضافت:

ياقمر وسطينا منور.

يااللى على آخر العمر بقيت شهد مصفى.

قولنا إيه السر إنك بعكس حال الدنيا.

لما تكبر تقمر

وأن العيا طلعك من وسط الغيطان

بدر مدور

إيه السر ياعبد الموجود قول وعبر.

نظر عبد الموجود نحوها متسائلاً هو الآخر عن السر الأعظم ثم أقفل جفنيه وغرق فى جماله ثم أفاق وسألها:

ـ وما السر الذى جعلك تغنين لى بعد كل هذه السنين من المعاشرة.

ـ السر هو جمالك الذى تفتق عن نفسه.

ـ سر جمالى. هو ما أعيانى. قالها وهو يضع ذقنه على ركبتيه متكوراً حول نفسه.

الجميل قبل أن يكون جميلاً كان محفور الخدين.. غائر العينين بارز الصدغين.. غليظ الشفتين. خفيف الشارب.. عريض الأنف. منطفئ الوجه مظلم. متشقق اليدين من الزراعة. جسده الضئيل داخل جلبابه كعصى مربوطة ببعضها. ثم أصابه داء بصدره استدعى التدخل الجراحى بزرع أنبوبة على جانب صدره لتفرغ السائل المتقيح المتجمع حول رئته نحو الخارج. لكن أثناء الفتح والغرز والتثبيت تسرب الهواء تحت جلده وانتقل إلى عنقه ووجهه. أخذ الهواء يرسم الوجه على هواه. يرفع الخدين من حفرتيهما نحو الخارج فاستدارا كتفاحتين.. يدفع مقلتيه من قاعهما ويبث فيهما نظرة متألقة منتبهة.. يحيط بالأنف ورداً أرجوانية فى البشرة فصارت كالمركب الضئيل العائم بين الربوع الحمراء. غاصت عظام الوجه تحت اللحم المتورد واستدار الوجه وكان القمر.

كل من يدخل عليه من معارفه يصيح عند رؤيته: بسم الله ماشاء الله. وقد يتأمل جماله ولا يلتفت بعيدا عنه: سبحان الله قادر على كل شىء.

ازداد القمر بهاء وأطل بضوئه نحو قلب الزوجة.. كلما نما القمر نما نوره فى قلبها وارتجف بعشقه على نحو لم يحدث من قبل. كانت تجلس قبالته وتنظر نحوه ولا تمل النظر. لم تفارقه نهاراً وباتت معه الليالى. زوجها الذى كان يأتى إليها من «الغيط» مسود البشرة.. عافر الوجه خشن اليد.. متسخ الجلباب وإذا نامت معه ليلاً أطفأت المصباح حتى لاترى شقوق

الوجه وحفره فتنفر منه. اليوم ودت لو ألقت بنفسها بين ذراعيه وذابت في بحر جماله لولا «الملامة». اليوم تحسد نفسها على أنها تزوجته وتعتب على نفسها كيف لم تكتشف طوال تلك السنين جماله المختبئ من قلة اكتناز الوجه. لقد ذبل جماله بسبب جهاده فى الحياة من أجلها ومن أجل أولادها. هاهو الآن يترعرع أمامها على الفراش كزرعته.

لكن جماله حزين. يئن من حين إلى آخر بكلمة «آه» يضغط الهواء المتسرب من تحت جلده على عضلاته وأعصابه، ويجعله يتنفس بصعوبة. وكلمة «الآه» الخارجة من وجه القمر تصيب قلبها بارتباك لا حد له.. تنظر فى وجهه الصافى يرتجف قلبها. تسمع الآهة يرتجف أيضا. وإذا تألم وهى تنظر نحوه زاد شجنها.. ولوعتها فتغنى.

وفى ليلة لن تنساها ازداد فيها بهاؤه حتى كانت تفرك عينيها.. وازداد أنينه فكان كالمناجل تضرب بقلبها.. شعرت بأن نهراً يذيبها من الداخل ويحملها نحوه.

فى وسط ظلام الحجرة خلعت ثيابها ودست جسدها تحت فراشه وألقت بنفسها نحوه. أخذت تقبل وجهه ترتشف من عسله كملكات النحل. مضت بأصابع يدها بين خصلات شعره ثم هبطت ولامست جمال وجهه وتتبعت استدارته.

أقبلت على شفتيه لأول مرة وقد كانت تنفر أشد النفور إذا قبلها. طلبت منه أن يضمها بين ذراعيه كالقطة الوديعة ويضغط عليها وأن يزيد ضغطه فهى تشعر الآن بأنها أنثى بين يديه وعليه أن يهرسها كلما ازداد انسجامها وحركتها بين ذراعيه ازدادت ضربات قلبه وحركة صدره. تألقت بعشقها كما تألق هو بمرضه.. وصارا قمرين يعانقان بعضهما.

لكن احتفائها به وهيامها حركت إحساسه نحوها الذى أخذ ينمو حتى تغلب على إضعاف المرض له فالتفا والتقيا. أبحر فى بحورها وتحققت لها النشوة لأول مرة معه.

على سطح وجهك الجميل أرقص.
وأدفر لك شعرى طرحة لاستدارتك
يااللى واخدنى لفوق من غير ماتدرى.
وملففنى السما حتة بحتة.
يازراع الهوى فى قلبى.
يااللى هواك مخلى قلبى يرفرف.
إياك هواك عن قلبى يتوقف.
ياقمر يامنور.. أمانة.
إياك تتكور.. وتتدهور.

أثمر استنشاق الأكسجين الذى تحدد لـه كعلاج بالنجـاح وبدأ الهواء المتشرب يزول منه. تهبط الوجنتان نحو الداخل، وتسقط العين باتجاه القاع، وتبرز الأنف، ويتعرج الـوجه حتى زالت نفخته الكذابة. شـفى عبدالموجود وعاد وجهه كالعرجون القديم.

وهى تسحبه خارجة من المستشفى كان غناها الأخير.
يادكتور قولتلك
اشفي حبيبى من غير ماتأذينى.
الهوا راح من حبيبى.
ولسه فيه هوا فى قلبى ماشبعشى.
يابدر البدور لازم فى يوم
تعود كالعرجون.
يابدر البدور.
القلب وقف خلاص وماعدش يرفرف.
لكن يابدر البدور هل فى يوم
هتعود ولا تفضل زى ماأنت.
عرجون على طول ●

معنى الرجل

جاءت تستنجد بى. بدأت حديثها كقطة صغيرة مسكينة وضعيفة:

ـ لم أجد غيرك لأبوح له بسرى.. لعلك تنقذنى.

ـ مكانة أعتز بها.. برغم أن صلتى بك سطحية.

ـ لكنك طبيب.. والطب مهنة كلها إنسانية.

ـ شكراً.. ما الحكاية؟.

ـ علاوة على أننى لاحظت أنك تقدر ظروف الناس الصعبة.

ـ شكراً.. ما الحكاية؟

ـ أريد إنقاذ أولادى من الضياع.. ستزول ابتسامة ابنتى.. سيختفى ابنى بعيداً عنى.. وابنتى المتزوجة ستصير حياتها جحيماً.. وليس بعيداً أن يطلقها زوجها.

ـ ألهذه الدرجة عائلتك فى مأزق خطير؟.

انكبت دموعها بغزارة.. وأخرجت منديلاً تمسح به دموعها ومنخارها.

ـ ما الحكاية؟.

ـ لولا أننى أعرفك جيداً وأعرف نبل طباعك.. عندما كنت ترفض آخذ قيمة كشفك على المرحوم زوجى فى منزلنا المتواضع.. لما فكرت أن ألجأ إليك.

ـ ما الحكاية؟.. هناك مرضى آخرون منتظرون.

ـ بعد أن توفى زوجى لم يبق معنا قرش.. بل وكنا مدينين لطول فترة مرضه كما تعرف.. وترك لى ابنتين شابتين لم تتزوجا بعد.. وابن أكبر مازال يدرس.. بخلاف ابنة أخرى متزوجة لاتمد يدها بأية مساعدة إلينا.

لم أجد مفراً أمامى إلا أن أبحث عن عمل.. ووفقنى الله فى العمل بمدرسة خاصة.. عاملة أنظف وأرتب وأحضر طلبات لصاحب المدرسة كثيراً ما أتحول إلى «شيالة» أنقل أثاث من فصل إلى آخر، ومن دور إلى دور.. تعبٌ علىّ ما أن أتحمله من أجل الأولاد.

قاطعتها بحدة:

- اختصرى.. لا أريد سماع كل الحكاية.. دعك من الحكاية.. ما السر الذى جئت من أجله؟.

- بصراحة.. بصراحة أخطأت دون إرادتى.

- أخطأت دون آرادتك!.

- فى الحجرة التى أضع بها أدوات النظافة تحت السلم هجم علىّ.

سألتها بعصبية:

- من الذى هجم عليك؟.

- هو.

- هو من؟.

- الرجل.

- من الرجل؟.

- بواب المدرسة.

- كيف؟.

- كنا نأتى مبكراً لنتم عملنا قبل قدوم المدرسين والطلبة.. وقبل أن أبدأ عملى وآخذ الأدوات من حجرتى هجم علىّ.. أخذت أقاومه ولم أستطع منعه.

نظرت نحوها لم أجد غير قطة وديعة تئز كلماتها فى خنوع وضعف. ارتجف قلبى لمرآها. بسرعة استجمعت بأسى وقونى وقلت لها:

ـ أمعقول ليس بينه وبينك أى شيء قبلها؟.

ـ لم يكن بينه وبينى أى شيء يخل بالأدب.. كأى زميلين نجلس ونتحدث.. كان كريماً معى خصوصاً عندما علم بظروفى.. وكان يكثر من إحضار الإفطار لى وله.. ويعزم علىّ بالشاى.. ويشترى الحلويات لنأكلها سوياً.. ثم بعدها بفترة تبدلت نظرته الخاطفة وأصبح يطيل رمقه لى بعينيه.. وينتقل بهما من أعلى إلى أسفل.. فيربك جسدى.. وأفر من أمامه بسرعة. كان يلمس يدى دون قصد منه أثناء جلستنا الصباحية أثناء إفطارنا.. ثم بدأ يحدثنى عن حبه نحوى.

***

همس فى أذنها: أحبك.

ألقت بعصى المكنسة، واصطدمت بالأرض.

تقدم نحوها وأعاد الهمس: «أحبك».

ارتجفت ومضت مسرعة نحو باب الحجرة.. أمسكها من ذراعها وجذبها نحو الداخل:

ـ لماذا تهربين منى؟.

ـ أنا أهرب من الخطأ.

ـ هل الحب الذى بيننا خطيئة؟.

جذبها من يدها حتى استدارت نحوه.

ـ هل تحبينى؟.

أخذ ينظر نحو عينيها وهى تهرب بهما.. لكن وميضهما كان يسرى بداخلها.. يعطيها شعوراً دافئا لم تعرفه من قبل.

ـ أنت تعرف معزتك بالنسبة لى.

ـ وهل هناك أجمل من أن تكونى بين أحضان إنسان عزيز.

ـ أنا أمٌ.. ولدىّ ابنتان ولم يتزوجا.

ـ ابنتاك مازالا لديهما فرصة طويلة ليسعدا بحياتهما.

أما أنت فالفرصة.. هى المتاحة لك الآن.. إن ضاعت راحت منك للأبد.

انسحبت منه وهى تصيح «اتركنى» وانزوت فى نهاية الحجرة.

ـ إذا كان كلامى يضايقك.. دعينا نتبادل النظر فقط.

أخذ يشعرها برجولتـه.. شرارة نظرته.. ملمس يده الخشن الذى يحاول بكل لمسة منه أن تكون حريقاً يدب فى جسدها.. قبضته القـوية التى تعصر جسدها.. عضلاته المفتولة التى تـصطدم بها.. صدره المتسع كجدار حائط.. ساقاه الثابتتان كجميزتين. وينغزها بشعر صدره.

ـ قولى لى مـتى استمـتعتى بحـياتك.. لقد تـزوجت بظل رجل.. قضى حيـاته معك وهو مـريض.. ثم مات وصرت بلا رجل أو حـتى ظله وهجم الرجل عليها.

***

ـ واستسلمت له.

ـ قاومته.

ـ قاومته.. ثم استسلمت له.

ـ ارحمنى.

ـ ما أسهل أن تخطأ كل امرأة.. ثم تطلب الرحمة والمغفرة.

ـ المحروم مثل العطشان لا يستطيع أن يرى الماء ولا يبل ريقه.

تبدلت على الفـور صورة القطة التى حركت أوتـار قلبى فى أول اللقاء.. وبانت حقيقة المرأة.. داعرة.. ماكرة.. كلها اشتهاء تريد رواء شقوق جسدها.

ـ محرومة وانت عشت حياة زوجية طويلة أثمرت عن أربعة أولاد.

ـ الحيـاة الزوجيـة الطويلة لم يرونى زوجى فيـها ولو مـرة.. فلا تظن أن

أول مرضه عند زيارتك لنا.. إنه مريض من قبلها بكثير.. منذ أول زواجنا.. وإن كان على الخلفة.. يادكتور ما أيسر أن تنجب المرأة من زوجها.. فالحيوانات تتوالد وتتناسل.

ـ ياللوقاحة.

ـ صدقني ماكنت أنوى الخطأ.. لكنه أشعرنى بمعنى الرجل.. ولم أشعر إلا معه.

ـ من أجل معنى الرجل ترتكبى تلك الجريمة الشنعاء.

صمتت ولم تتحدث.. الشعور بالخجل والانطواء قد عادا إليها من جديد بعد أن كنت أرى أمامى امرأة لاتستر نفسها بأى ثوب.

ـ وما المطلوب منى الآن بعد أن وصلت لما كنت تبغيه لمعرفة معنى الرجل؟.

صمتت من جديد وتوارت عيناها الخضراوان خلف سحب الخجل، وانطفأ البركان الفائر بداخلها.. كأنه لم يكن.

ـ انصرفى.. كفى ماسمعت.

ـ لكن. لدىّ شيء لم أقله لك.

صمتت، وصمت أنا الآخر ولم أتبعها بسؤال من عندى. ثم كسرت لحظات الصمت وغطت وجنتيها حمرة شديدة وهى تتحدث:

ـ هناك ثمرة فى أحشائى.

ـ ثمرة فى أحشائك؟.

ثرت وأخذت أرطم المكتب بقبضتى عدة مرات حتى صارت كالكرة الملتهبة.

ـ هذه نهاية لعبة الرجل والمرأة المبتذلة التى كنت تلعبينها.. لقد أخطأت وتحملى ثمرته بمفردك.

ـ اتركنى أقبل يديك.. أنا لا تهمنى نفسى.. اقتلنى لو كنت غير مصدقنى.. أنا أخاف على ابنتىّ اللتين لم يتزوجا من الفضيحة والسمعة السيئة.. وأخاف على الكبرى من أن يعايرها زوجها.. الله يخليك اعمل معروفاً.. أنت لاتنقذنى.. أنت تنقذ أسرة بأكملها.

ـ لماذا لم يعمل هو المعروف ويحاول التصرف معك.

***

قبض على ذيل جلبابه بأسنانه وأخذ يلطم على خده:

ـ يادى المصيبة السوداء.

ـ أنت السبب فيها.. أنت الذى ضغطت علىّ.

ـ ما كان يجب أن تخضعى.

ـ صدقنى لولا أننى أحببتك واطمأن قلبى إليك ماكنت أستجيب لإلحاحك.

نظر نحوها بنظرة عارية من أى أدب:

ـ ضغط ايه.. انت التى كنت ترغبين فى كل هذا.. انت كقطعة من جهنم مشتعلة بالشهوة.

ـ اشتعل جسدى لأنك أنت الذى أشعلت بى النار برجولتك وشهامتك لكننى الآن اكتشفت أن أمامى معزة صغيرة.

ـ ماذا تريدين؟ زواج لن أتزوج.

ـ أنا التى لن تستطيع أن تتزوجك.. وإلا ترك أولادى البيت.

ـ ماذا تريدين؟.

ـ أن تساعدنى فى التخلص من الفضيحة التى تنمو فى أحشائى.

ـ وأنت ترينى طبيباً؟.

ـ لا.. لكن تذهب معى إليه باعتبارك زوجى.

ـ وأتحمل أنا المصاريف.

أمسك جلبابه وفتح جيبه من عند صدره وأظهر لها أنه خالى الوفاض تماماً. استمرت معه فى المحاولة واستمر هو فى اتهامها بالنجاسة والشهوانية وفى اليوم التالى اختفى من المدرسة ولم يعد إليها.

***

أخذ يتفحصها:

ـ هرب منك الفاعل وتلجئين إلىّ

ـ لأننى أعرف أنك إنسان كبير قبل أن تكون طبيباً.

ـ تفسدين الدنيا أنت وهو ثم تستنجدين بى باسم الإنسانية.

سالت دموعها بغزارة فى خطوط تجمعت فى جدولين رقيقين حول قاعدة أنفها وفاضت على شفتها العليا الغليظة ومضى بعضها على رقبتها حتى الفج ما بين النهدين الذى ظهر أعلاه من خلف الطرحة السوداء الشفافة. انتبهت لأول مرة لمخرطية ثديها. رفعت بصرى وتأملت فوران شفتيها الغليظتين. شعرت أننا أمام أنثى قوية وتدور فى حلقة سيرك لايقوى على كبح جماحها أى مروض.. حتى هى نفسها تعجز عن ترويض تلك القوة.

ـ إن كان علىّ لا أريد الحياة.. ولا أحتاج منك لحظة إشفاق واحدة.. لكن ابنتى اللتين على وشك الزواج ماذنبهما.. كيف سيتقدم إليهما أحد بعد فضيحة أمهما.. دعك من موضوع الزواج.. كيف سيسلمان من أذية الرجال بعدها.. حتى الابنة المتزوجة قد يظن زوجها أنها مثل أمها ويطلقها ويلقى بها هى وأولادها فى الشارع.. حتى ابنى لن يتمكن من رفع رأسه لا بين الأصدقاء ولا الغرباء وقد يدمن.. وقد يترك المنزل.

برغم عفونة فعلتها.. شعرت أننى أمام أم قوية المشاعر عميقة الفهم

يمكن أن تستحق لقب الأم المثالية.. رغم تأثرى بها.. استطعت أن أحافظ على نبرتى السابقة وصحت فيها:

ـ طالما تخافين عاقبة ماوقعت فيه.. لما أقدمت عليه.

قمت لأجذبها لأخرجها من العيادة.. فجأة قفزت علىّ كقطة برية شرسة تقبل يدى.. تتشبث بملابسى وتغرز أظافرها فى لحمى.

ـ أنا أستاهل.. أنا بنت كلب وبنت كل ماتقوله.. لكن أولادى انقذهم.. وإلا سألقى بنفسى فى النيل.

تعجبت من كل الشراسة التى تعملها. وبعد معركتها معى خرجت منها كصيد تحمله بين أسنانها.. خائر القوى ضعيف:

ـ ياستى أنا لست طبيب نساء وولادة.

ـ أعرف لكن دلنى على من يساعدنى.

ألقيت بنفسى على كرسى المكتب.. انتظرت للحظات لأستجمع نفسى التى بعثرتها ونظرت إليها وهى بعيدة عنى.. رأيت فيها أشياء متناقضة.. طيبة وشريرة.. الوقاحة والجموح الأنثوى.. والشراسة.. والأمومة.. والذكاء اللماح.. والمنطق النافذ إلى العقل.

شعرت أننى على يديها، عرفت معنى المرأة أنا الآخر ●

البحث عن وريد

خريطته.. غير خريطة كل الناس. الناس مساحات مستوية متجانسة سواء كانت مكتنزة بالسمن والدهن أو فقيرة بعظامها، سواء كانت ممتدة طولياً أو مستعرضة. أما هو أرض جبلية كلها بروزات ونتوءات بلا لحم. الصدر منبعج إلى الأمام كصدر الفرخة. الضلوع قبل التحامها بعظمة القص تقب إلى الأمام بزوايا حادة كأنها قمم جبال متتابعة. تستدير عظمتا الترقوة كتلين مقوستين يبدآن من قاعدة الرقبة، ويبرز من ظهره عظمتا اللوح كأنهما صدفتان قويتان تحميانه من الخلف.

نهبط إلى منحدر كبير.. منطقة البطن ثم نمضى إلى سلسلة جبلية أخرى المسافات فيها متباعدة. تنبجع عظمتا الحرقفة من كل جانب كقبتين مستديرتين. تنتفخ عظمتا الفخذ بزيادة عند الركبتين، والساق عند المشط. ونخرج إلى جانب الجذع ونكتشف أن الساعد والذراع مستقران على بعضهما فى زاوية حادة ثابتة.

الجبال الوعرة لا تخلق قصة إنما لوحة فنية.. لكن القصة تبدأ عند البحث عن وريد لديه. إذا سار.. بين تلك الكتل الصخرية يكون رفيعاً وإذا اعتلاها التوى، وتدحرج عليها. وأهمية الوريد تكمن فى أن إيجاده ينقذه من الموت، وفقدانه يعرضه له. فالرجل الجبلي فقد كمية من السوائل عندما تعرض سطحه لنار الشمس الملتهبة بأحد أيام هذا الصيف.. وأصبح نقل السوائل ضرورة حتى لا ينهار الرجل بجباله وهضابه . يجتمع حوله عدد من المكتشفين الجغرافيين بالأردية البيضاء يبحثون عن مجر له.. هنا على طول خط الساعد قبل التحامة بالذراع ثم على الذراع نفسه. بالرقبة فوق

عظمة الترقوة أو فوق الكتل المستديرة بالقدم أو بأعلى الساق والفخذ.

يظل الرجل كأرض جافة وعـرة جرداء.. باهتة لا جمال فيـها ولا بهجة حتى يصل أحـد المكتشفـين إلى وريد بارز. يتحـسسه برفق كـأنه عرق من الذهب الخـالص. على مبـعدة منه يـغرز سن الإبرة تحت الجلد ويسـير بهـا حثيثاً.. حثيثاً لعله يشعر بصائده فيفر هارباً.

يلتقـيان. تمضى قطرات المحـاليل.. يتدفق الوريد نابضـاً وسط الربوات المرتفعة. يزدهر سطح الرجل ويندى. تختفى الصفـرة، ويبرق حمرة تشتعل الحياة على تلاله وهضابه.

أصـبـحت خـريطتـه تتغـيـر مـابين الازدهار والذبول.. مـابين الجـبـال السندسية الوارفة وجبال الصحارى.

والوريد الضـائع هو المسئول عن مهـام التغيـر فى معـالم هذا الرجل.. والمكتشفون الجغرافيون يزدادون مع كل مرة يبحثون فيها عنه ●

أيام زمان.. أين أنت

قواعد الحضارة الإنسانية لا تجيز الآن الاقتراب منك.. قواعد المجتمع أشد صرامة فى عدم السماح، ومن ثمّ قواعد الحرم الجامعى تستنكر هذا الفعل.. وأنت مرسومة بخطوط انسيابية تجولين بين أرواق المعمل.

تقتربين منى وتسأليننى عن الحمض فأشير إليه، وتبتعدين.. تسكبين الحمض فى الأنبوبة.. تسيرين باتجاه الموقد وترجين الأنبوبة على الشعلة.. تستخدمين الأسترة.. نكتفى بتبادل كليمات علمية قليلة بعيداً عما أحلم به.

بعيداً.. بعيداً أنا عن صاحبة الخطوط الانسيابية.. الشعر البنى المنسدل خيوطه على الكتف، وخطىّ الجسم يبرزان قليلاً عند الصدر ويتقوسان عند الوسط ويزداد الارتفاع عند الأرداف ـ بانسيابية دون انبعاج ـ تسير الساقان لمخروط أملس لا نتوء فيهما.

كرهت فقاعات التفاعل الكيماوى.. أين هى انفجارات التفاعل الإنسانى؟.. فلتسقط قواعد التحضر الإنسانى، ومن بعدها قواعد الأخلاق الاجتماعية وألف طظ فى قواعد الحرم الجامعى ولنتجه نحو العالم الجميل القديم.

حشائش السافانا تنافسنى فى الطول.. الأشجار الكثيفة تتعانق أغصانها وتتسرب من بين أذرعتها خيوط الشمس.. تتلاحق بقع النور والظلال على الأرضية المبللة بالمياه.. أتأمل وأسير.. أسمع صراخ آدمى.. مثلى!.

أقفز من شجرة إلى شجرة حتى أصل.. إليها هى.. صاحبة الخطوط الانسيابية. يهجم عليها ديناصور.. أصل إلى شجرة قريبة وألقى عليه حجر ثقيل لا تترك أثراً عليه.. مال برأسه نحوى وأخذ يحرك جذع الشجرة..

أهبط وأوجه إليه رمحى يزداد غضباً ويزأر فى المكان، ويطيح بالأشجار واحدة تلو الأخرى.

أشعل أغصاناً من نار بركانية، وأرميها عليه واحداً تلو الآخر.. يمضى بعيداً وزئيره يملأ المكان.

أجدها باكية ترتدى فرو حيوان.. أضمها إلى صدرى وألمس شعرها الناعم المسترسل على ظهرها.. تطلب منى ماء. أذهب إلى الجدول وأملأ كفى. وفى طريقى إليها تهزنى ساقاها البيضاوان المخروطان.. ترتشف الماء من كفى وتبتسم.

أمر بكفى على ساقيها العاريتين.. الله ما هذا الجمال، وأمر بكفى وتمتلئ نفسى بالنشوة.. تضحك يعلو صوتها فتقترب الطيور الزاهية الصفراء والزرقاء والحمراء والفراشات التى تنافسها فى الألوان.. تطلب منى أن أمسك بعصفور أزرق سماوى.. أمد يدى يفر منى.. أطير وراءه.. أصعد صخرة فصخرة ومن غصن إلى غصن وألتقطه. تلمس ريشه الجميل بأطراف أصابعها، وأصابعى تمر بين خصائل شعرها.. تطلق العصفور وتجرى وراءه.. تحاول الإمساك به.

أراقبها وهى تعدو بالفرو الحيوانى وتقوس الوسط بائن من أحد الجوانب.. الله ما أجمل انسيابها وهى تنحنى وتستقيم وسط الشجيرات العملاقة.

نتجول وهى تضع يدها حول خصرى تلمس يدى صنعة الله العالية فى انحناء الوسط والثدى الناهد. وددت لو أن يدى شاركت فى رسم تلك الخيوط عند تدبيرها. تشير بإصبعها فى الفراغ نحو شجرة تفاح مظللة بالسماء الزرقاء. أصبت برجفة خوف لأننى خشيت أن تتكرر الوقائع ونخرج من النعيم إذا استجبت إلى طلبها. بإصرار تعيد الإشارة نحو

الشجرة. أطلقت صفارة مميزة فتجمعت القرود على الشجرة.. أصدرت صفارة أخرى فألقت إلينا بثمار التفاح.

جلسنا على صخرة على حافة نهر ووضعنا الثمرات بيننا على العشب.. أخذت أراقب فمها الدقيق وهو يقضم التفاحة، والأسنان المرمرية وهي تغرزها في الثمرة.

رمتني بتفاحة وألقيت عليها تفاحة، ورمتني ورميتها.. أسرعت ضاحكة واندفعت نحو ماء النهر.. اندفعت وراءها.. أسرعت ولحقت بها وأمسكت قدميها.

وصراخنا تعكره صوت الحدأة والغراب. عانقتها. شاهدت خطوط جسدها تتعرج داخل زرقة الماء الصافية، شاهدنا جزيرة أخذنا نسبح نحوها.

مازالت المسافة بيننا وبينها بعيدة.. أليس لو كان أيامها هناك مركب بخاري لاستطعنا الوصول إليها في الحال.

أمطرت السماء.. أسرعنا من الماء خارجين. اختبأنا تحت حماية شجرة بلوط عملاقة.. جسدها يرتجف من البرد وخطوط جسدها تهتز.. أضمها نحوي.. يجري الدفء والحنان في عروقنا... حتى هدأت الأمطار وتجولنا في الغابة. السماء داكنة مزركشة ببياض السحب وخيوط البرق تومض من حين إلى آخر. حوطت يديها بين يديّ وأخذنا نرج جسدينا راقصين.. لعل آلهة السماء تستجيب وتفك غضبها. تغطي جسدها بقطرات من العرق والتمعت خطوطه فبدأت الشمس تستجيب لرقصنا ظاهرة من بين الغيوم.

جلسنا نراقب ظهور الشمس واختفاءها من وراء السحب. أشارت إلى فمها.. هم هم.. سألتها عم تريده من حيوانات الغابة.. زأرت كالأسد. تأكلين أسد.. حرام عليك. سرت أنا وهي حتى سمعنا صوته.. أعطيت لها

رمحاً وطلبت منها ألا تتدخل إلا بعد أن أرشق رمحي به. كعادة نساء ماقبل التاريخ لم تطعنى وألقت رمحها أولاً فأصابت جانباً من ظهره.. غضب الملك من جسارة المرأة عليه وهجم عليها.. أمعقول تذهب صاحبة الخطوط الانسيابية هكذا نتيجة غبائها.. رميت رمحى عليه.. الإصابة زادت من غضبه، وأخذ يهم بغرز أنيابه بها.. حرام عليك لا أستطيع الحصول عليها هكذا بأى عصر.

قفزت عليه بقوة ذراعى رفعت فكه عنها وضممته.. أخذت أضغط على رقبته وهو يطيح بها فى الهواء... حتى سلم فى النهاية. أسرعت نحوى تعبر عن شكرها بتقبيلى. طبب كل منا جراح الآخر. أهديت لها فراء الأسد.

وضعته على جسدها وأخذت تدور به حول نفسها، وأنا أصفق بقوة إعجابا. الله على رائحة الشواء وهى تدخن فى سماء الغابة وتنعش أنفينا.

انكببنا على ملك الغابة نلوكه بين صدغينا حتى امتلأ جوفانا فشعرنا بنفخته بعدها.

ألقينا بجسدينا على بساط أخضر لأشعة شمس الأصيل. أرحت وجهى على نعومة الفخذ المخروطى. أخذت أنظر نحوها وتنظر إلىّ بنظرات هادئة صافية كالأشعة الهادئة التى ترسلها إلينا الشمس الحانية وهى تودعنا. أضمها بقوة.

.... لكنها تفر منى وتظهر بثيابها الحديثة وهى تضع حمض على حمض قانعة بالتفاعل الكيميائى. ينتهى العمل، وتشير إلىّ برأسها مودعة. تمضى بمفردها دون أن أملك جرأة الاقتراب منها.. اختفت صاحبة الخطوط الانسيابية من أمام عينى.. تحسرت... يا أيام زمان أين أنت؟ ●

العملية السرية

وسط الظلمة وفى غفوة من الزمان.. العـملية السرية تكون. أبطالها هو وهى. توقيتها ثابت ومحـدد الساعة الواحدة بعد منتصف الليل من كل يوم خميس. شمس بيضـاء داخل الظلام من عندها نحو عـينيه المتـأملتين. هو وهى يجريان العـملية السرية من عـلى بعد حتى لا يذهب بكم الخـيال إلى مناطق بعيدة تحبون الغوص فيها.

هو إنسان مهذب وخجول. خجله تسـبب فى فشل أول محاولة للتقرب من المرأة عند دخـوله كليـة الطب. كـانت زميـلة جميلة ورشيـقة القـوام بالبنطلون الجينز. شـعرها يذهب هناك بعيداً ويجىء مـتمهلاً أثناء حـديثها. تعـرف عليهـا عندما جـاورها فى إحدى المحـاضرات. استـفهـمت منه عن بعض النقـاط التى جاءت بالمحـاضـرة. ازدادت المعرفـة عندما جـاورته فى مـحاضـرة اليـوم التـالى، وقويت فى الـثالثـة والرابعـة. فجـأة انهـارت فى الخامسـة. لـم تعره فيها أى انتـباه والتفتت إلى زميل آخـر تحدثه. لماذا قويت حتى كاد يحـدثها عن إعجابه بهـا بالمرة الخامسة؟ ثم لماذا انهـارت فجأة فى الوقت الذى قرر فيه التعبير عن نـفسه؟ لا يعرف. هل لأنه ليس متمرساً أو لأنها أدركت هيـامه بها ففرت منه. أم أرادت أن تعـذبه، أو لعلها أرادت أن تبـحث عن ضـحيـة أخرى تذيـقهـا العـذاب وترتشف منـها الإعـجـاب. لايعرف.. لعل طباعهن هى كذلك بدون تفسير.

ليس المهم أن يفـهم، ولكن المهم أن ينتـقم. كـيف. أيوبخـها؟ مـاذا بينه وبينها حتى يوبخها.. كل ما بينهما إشارات وإيحاءات غير ملموسة. أيوجه غضبه لصاحبها الجديـد.. ولكن ما الوسيلة؟. يضربه.. أمعقول طالب كلية

طب يعتدى على زميل من أجل فتاة. يبحث عن وسيلة يسخر بها منه.. ماهى؟ ثم ماذنبه لعله يكون ضحية مثله.

لعل أفضل وسيلة للانتقام منها أن تكون بنفس طريقتها.. يوثق علاقته بزميلة أخرى. هل الفتيات تحت أمره حتى يؤشر لأى منهن فتأتى مطاوعة «شبيك.. لبيك أنا ملك يديك»؟. ما الأسلحة التى يملكها حتى يتمكن من الغزو؟ ينقصه سحر الجمال، مظهر أولاد الذوات، الكياسة. ليس من الأوائل حتى يقبلن عليه ليسترشدن بفهمه وتفوقه، ولا هو فى النهاية ابن نكتة حتى يمتعهن فى جلسته. عندما يؤشرن، هن يلبى نداءهن العشرات، وعندما نؤشر نحن نجد أصابعنا فى الهواء معلقة.

أزمة مستحكمة.. خاصة لطالب بكر يدخل الوسط الجامعى جعلته يقص عنها لصديقه بالكلية.

ـ لماذا تعجز عن فهم تغير سلوكها. إنها فاسقة.

ـ لا تتعجب انظر إلى ثيابها، والمح زينتها تعرف ما أقوله لك هو الحق.

ـ أنت يجب أن لا تحزن عليها بل تحمد الله أن أبعد أمثالها عن طريقك إنهن مثل صويحبات يوسف.

ـ أعرف أنه يصعب عليك أن لا تحزن عليها لكن حول طاقة غضبك منها نحوهن كلهن المتبرجات السافرات.

ـ لماذا لا تأتى إلى المسجد وتجلس بيننا وتستمع إلى دروسنا؟.

ـ نعم ستستريح وتشعر إنك أعلى منها بكثير. وهل هناك كفة ترجح كفة الإيمان؟.

وانضم إليهم. صارت التطورات فى طريقها المرسوم. الاكتفاء بالصلاة وسماع كلمتين فأجزاء من خطبهم.. إلى الانتباه إلى كل كلمة من أميرهم حتى صارت الكلمات دستور حياته.

أطلق اللحية وارتدى الجلباب. صار في الطرقات هائماً.. اطلع على كتب السلف الصالح، وازدادت نقمته على الخلف الطالح، وبالذات المجموعات التى يختلط فيها الفتية والفتيات بكليته.

كلما انجذب إلى رفقائه كلما بعد عنهن. كل الأحاديث والنظرات والضحك معهن، بل الكلمات العابرة حتى مجرد سماع صوت المرأة متاع قليل مأواه جهنم وبئس المصير. أنه الآن فرعه فى السماء.. بعيد عن مباذلهن.. حتى كاد ينسى ماهى المرأة.

وهى فيما قبل لحظات الانكشاف ـ وقت العملية السرية ـ مجهولة تماماً. أهى خفيفة أم ثقيلة الظل لا نعرف. طيبة أم خبيثة لا ندرى. أتجيد الحديث؟ ألدغاء؟. رفيعة أم سمينة، لها ثدى، لها أرداف، بخصر أم بغيره؟ لانعرف. بيضاء سمراء صهباء.. شهباء. شمطاء لانعرف. لمياء. شنعاء.. سبلاء.. شيماء.. لانعرف.

كل ما نعرفه أنها امرأة، والدليل ثيابها التى احتجبت من خلفها، وأنها زوجة لتاجر احتجب وجهه هو الآخر من فرط كثافة شعر الذقن. كان قد تقدم إلى خطوبتها وهى فى الصف الأول الثانوى. عندما جاءها ملحق لم ينتظر أهلها لتدخل الدور الثانى فالمستقبل أضمن مع الزواج عن طريق تعليمى عثر. كان لطيفاً معها فى البداية ثم أخذت معاملته تشتد. امتلك عصفوراً جميلاً كان فرحاً لاقتناصه. لكنها فى مقتبل العمر تزداد فتنة مع الأيام فصار جمالها نقمة تؤرقه.

استقبلت الأعضاء المتفتحة للحياة شدة وصلف زوج غليظ الطبع، وارتطمت بعنف جثته الضخمة. لم تتحمل وطارت بعيداً عنه مرات عدة. أدرك أن العنف لن يمنع تفجر الحياة عندها، واهتدى إلى الرباط الذى يربطها به دون الحاجة إلى القوة. حدثها: لايليق بزوجة السنى أن تظهر كل

تلك المناطق من وجهها وساعديها وساقيها. حاصرها بالكتب العديدة عن سلوك المرأة المسلمة. لباس المرأة المسلمة.. فضيلة المرأة المسلمة. وبشرائط خطب تهز البدن من الخشية والخوف إذا أسرف الانسان فى حياة الدنيا وابتعد عن ربه. دعم الحصار بزيارات من قريباته المنقبات. حدثنها، ورأت هى كيف تكون الإنسانة مصونة لا يلمحها أحد. بدأ بركان الحياة بداخلها يتحول إلى بركان رعب. أصبحت مرعوبة لا من مظهرها فقط بل من كونها امرأة لها جسد وصوت أنثويين. امتنعت عن أشياء كثيرة واتجهت بقوة نحو التعبد. دخلت الخيمة واطمأن قلبه وأحسن معاملتها.

هو فى دنياه المعزولة عن الدنيا وهى فى دنياها المحاصرة بعيداً عن الدنيا. فكيف اجتمعا إذن فى العملية السرية؟.

الصدفة وحدها التى أتمتها لتطلق سراحهما.

هو لو حدثونه قبلها ـ ومازال ـ عن رؤية مجلة بها فتيات يرتدين حسب الموضة لهاج ولعن ضلالتهن.

هى لو حدثونها أن تفك عن نفسها قليلا وتتوقف عن لبس القفازات السوداء لجعلت ليلة محدثينها سوداء. لكن عندما يكون الوقت ليلاً تتراخى القيود، فإذا كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل يزداد انحلالها، فإذا كان الفرد بمفرده رفرفت النفوس بعيداً بعض الوقت. هذا ماحدث بالضبط فى أول عملية سرية قاما بها بعد منتصف ليل يوم خميس.

هو كان يجلس بمفرده بحجرته يستذكر دروسه. ينكب على كتابه مع الضوء القادم من الأبجورة. بقايا ضوء فى فراغ الحجرة. ينقطع عن كتابه من حين إلى آخر وتنتقل عيناه من الضوء المتناثر بالحجرة إلى الظلام الممتد خارج النافذة. تقفز إليه صور عابثة مايلبث أن يطردها ويعود إلى كتابه.

هى كالعادة بمفردها ليلة الخميس. يتركها زوجها لزيارة أهله بالريف

ليعود بنهار الجمعة. تكتنفها روح غريبة تسرى فى كيانها تقربها من طبيعتها الأولى. الفتاة المنطلقة فيما قبل عهد الزواج. يزداد توهج تلك الروح حتى تصل قمة الفوران عند منتصف الليل. تفتح النافذة مواربة. ترتدى «روباً» منقوشاً بالعصافير والورود فضفاض وشفاف. تختار أخف الضوء لتضيئه فتنطلق بحرية هنا وهناك تعيد تنظيم الشقة وتنظيفها.

فرسة تتمخطر لم يلتفت إليها أحد.. فالكل فى سبات النوم. إلا هو عندما أطل برأسه صدفة من شباك الحجرة فوجدها. تكر وتفر.. تنحنى وتنتصب.. تجول وتهدأ. تصهل دون صوت. فجأة شق ثديها الروب قافزاً نحو العالم. ثدى بأكمله.. كامل الاستدارة مخروطى ينتهى بقمة فوارة. أمعقول مايراه، وما يراه معقولا؟. لم ير فى حياته بربع ثدى فيشاهده بأكمله؟. نعم رآه كاملاً بالمشرحة.. لكن شتان مابين الاثنين. فى المشرحة كقطعة الورق المطبقة. صحيح أطال النظر إليه، لكن ذلك للتعرف على المجهول فقط. أما هذا محقون بالحياة يرقص مع جسدها كرأس حصان يفك لجامه.

قفز وصعد فوق كرسيه ليتحقق من المشهد. صعد فوق المكتب. نزل من عليه وصعد فوق الكرسى يتشعلق بضلفة الشباك. أى حركة فى أى اتجاه لأنه أصبح منطلقاً هو الآخر لا يستقر على غصن واحد.

عندما يقترب من الضوء يبرق بياضه كشمس الظهيرة، وإذا ابتعد تحول إلى قمر فضى هادئ. الظل يخفيه فتتحول الدنيا إلى ظلماء. ظلام يعقبه نهار إذا برق من جديد.

... وفجأة اختفت، وفجأة انطفأت النزوة وظهرت النغزة. نغزة ضمير متألم. آه ما أصعبه. أتأخذنى النزوة هكذا بلا أدنى مقاومة أو تردد. بماذا نفعت صلاتك، وما فائدة إطالة الجلوس بالمسجد، ما أثر ترهيب خطب الأمراء فى الامتناع عن ارتكاب الفحشاء. ماذا يقول عنك رفاقك إذا

وصلتهم نبأ فعلتك. ماقيمة اللحية.. أنت مرغت وقارها فى التراب. بماذا تختلف عن كل الفاسقين الذين يملأون طرقات الكلية ولا ينتهون من الضحك والهزر مع الفتيات.. بل أشد فسوقاً تتلصص على النساء، وعلى من؟ امرأة بلغت الغاية فى التحشم. أستغفر الله.. أستغفر الله. قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس... قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب.... صدق الله العظيم.. أستغفر الله.

لكن كيف ارتضت تلك الملعونة أن تظهر هكذا. لعلها أمنت أن الوقت متأخر تنام فيه العيون المبحلقة الشرهة. لا تعرف أن هناك عيناً ساهرة أشد شراهة. لكن مهما كان كيف تأمن؟. الاحتشام واجب فى جميع الأوقات لا يختص بوقت بعينه. لعل ثديها انطلق دون أن تدرى. لابد أن أتأكد من جديد.

ظهرت وعادت العملية السرية من جديد. هو يتابع بعين شغفة قلقة متلهفة.. خائفة... متلصصة من حين إلى آخر. وهى تنحنى هنا وهناك.. تظهر وتختفى الجوهرة المستديرة.. أثمن شيء رآه.. حتى رفعت رأسها ولمحته. اضطربت.. جرت حبات العرق فوق الجبين. اضطرب تاهت عيناه فى أى اتجاه. أسرعت نحو النافذة. اختفى بالداخل، أغلقت النافذة. انحنى على مكتبه. شعر بالضآلة.

مر يوم واثنان والخوف يستبد بهما. هى كلما دق الجرس وطرق الباب تصورت أنه أتى ليخبر زوجها.. لايخامرها الشك فى أنه يعرف زوجها من خلال ترددهما على المسجد لأداء الصلاة. لو عرف زوجها ماحدث سيقضى على حياتها فهو فى غضبه وحش لا يعرف الرحمة، وكثيراً ما أصيب جسدها بلكماته وركلاته لأسباب أهون بكثير من تلك. أما إذا كان أقل تهوراً فسيطلقها بالتأكيد ويشهر بسمعتها، ولن تنفع ساعتها كل تلك الأغطية أن تقنع أحداً بعفتها واستقامتها.

هو مرعوب من شيء آخر. من نفسه. قد تنزلق النفس مرة نحو المعصية، لكن أن يعود إليها في نفس الليلة بعد أن استعاد آيات ربه.. أكيد نفس منحطة. كل هذا الزهد والنسك والتعبد لم يؤثر فيها. هي كما هي قبل أن يدخل عالم الإيمان ويلتحم بإخوانه في الإسلام. أيصلح هو بعد ذلك أن يكون عضواً في جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن النكر.

كموج البحر صارت حياته هادئة في خطها المعتاد. الاستيقاظ مع صلاة الفجر ثم أدائها بالمسجد.. تلاوة القرآن استذكار بعض الدروس. الذهاب إلى الكلية.. الالتقاء بالإخوان ومزاملتهم بالسكاشن والمحاضرات. أداء صلاة الظهر بالمسجد مع الإخوان، والحديث بعدها معهم في أمور الدنيا والدين، وسماع نصائح الأمير. ثم عودة إلى منزله.. يتناول غذاءه فأداء صلاة العصر فنوم. صلاة المغرب بالمسجد، فقراءة لبعض الكتب الدينية مع رفاق المسجد والتوحد معهم أثناء صلاة العشاء. إخلاص في أداء واجب ربه يعقبه إخلاص نحو واجب العلم، فأميرهم حضهم على الجمع بين الاثنتين متانة الدين ومتانة العلم. فالمؤمن القوي بالعلم خير من المؤمن الجاهل الضعيف. بالعلم ينهضون بحال المسلمين وتقوى شوكتهم. علاوة على ذلك.. الطلبة المتفوقين منهم عندما يحتلون مراكز علمية بالكلية سيكونون دعاة لمبادئهم ومنفذين لها على المستوى الجامعي. لتسهيل طريق العلم أمامهم طبعت لهم الجماعة مذكرات في شتى المواد بمساعدة الأساتذة.. يضعها أمامه دائماً قبل أن يبدأ جهاده العلمي.

فإذا ما اقتربت الساعة من الواحدة بعد منتصف الليل يضطرم كيانه وينتفض القلب نابضاً أيعيد النظر أم ينكب على كتابه؟ استطاع أن يجمع عزمه وينجو في أول ليلة.. فصارت حياته هادئة في اليوم التالي كما اعتاد في طريقها المأمون بقلب عارم بفرحة الانتصار.

فى الليلة الثانية اختلف الحال. نعم لم تظهر لكن تأكد ضعفه أمام عينيه.. ظل يراقب نافذتها من آن إلى آخر. أدى صلاة الفجر ببيته وأطال من سجوده. اغرورقت عيناه وابتلت السجادة الطاهرة بدموع المذنب. أخذ يرتل القرآن بصوت يملؤه النحيب. توجست أمه فدخلت مقره ـ وتلك من المرات القليلة ـ لتطمئن عليه.

عند الظهر لم يذهب إلى مسجد الكلية ـ لأول مرة منذ انضمامه إلى الجماعة ـ وكيف يقابلهم وهو غارق لأذنيه فى المعصية. بل أهمل فرض الظهر والعصر لأول مرة منذ زمن بعيد. لم يطاوعه قلبه فأدى صلاتى المغرب والعشاء. بلغ الاضطراب قمته ليلاً. هل يعيد النظر أن يبتعد وكفى ما أصاب نفسه من زلزلة لم يعد قادر على احتمالها.

حرك المكتب بعيداً عن الشباك وأحدث ضجيجاً بالمنزل.

ـ لماذا يابنى؟.

ـ بعيداً عن الضوضاء.

فلما انتصف الليل لم يستطع. أعاد المكتب إلى موضعه.

ـ لماذا يابنى؟.

ـ بحثاً عن الهواء.

ولما قربت الساعة من الواحدة كان قراره «أنظر وخلاص.. بالتأكيد لن يعود هذا العرض من جديد. فتلك السقطة لن تتكرر منها. تضايق ثم ارتاح لعدم ظهورها. فهو لايستطيع أن يحمل ذنباً جديداً.

هى أرهقها القلق. أصبحت أذناها على الجرس تتوقع أن يدق ويأتى إلى زوجها بخبره. فقدت احترامها أمام نفسها وشعرت بأنها مكشوفة. ماهى الوسيلة التى تزداد بها وقارا وقد أخفت كل سنتى؟. أقدمت على خطوة كان زوجها يلح عليها فيها.. الامتناع عن مشاهدة التليفزيون. لم تتحمل الحياة بالمنزل بكل هذا القلق فذهبت إلى والدتها وقضت يومين.

هو بعـد كل منتصف ليل يطل برأسـه فى ظلام الشارع. يـلفحه الـهواء الصاقع وتعـود ذكرى الرؤية الحارة. أصبح مـستمتـعاً بالنظر دون الرؤية.. يهيم بالذكرى دون أن يحمل ذنـوب الرؤية. قل الاضطراب وعادت سيرته الأولى الهادئة.

عادت إلـى المنزل. لم يحدثهـا زوجهـا عمـا يريبهـا. هدأت هواجسـها واطمـأنت إليـه. أنـه لا يضـمـر شـراً. لما انتـصف الليل نـظرت من خلف خـصاص النافـذة. وجدته واقـفاً يطل برأسـه يدور بعـينيه ثم يستقـر على نافذتها. يدخل، ويـعود بعد زمن قصيـر يدور بعينيه فتقع عـلى نافذتها. أنه هائم بها إذن.

مر يوم واثنان تراقـبه دون أن يدرى. أشفـقت عليه، وأنس هو إلى طول التطلع فى الجو المظلم دون أن تقتنص عيناه شيئاً.

وجـاء يوم الخمـيس ومـضى زوجـها إلـى زيارته الأسبـوعـيـة. لمحتـه واضطربت. عـقارب السـاعة عـبرت منـتصف الليل، دقـاتها توحـدت مع ضربات قلبها. ماذا سـيكون قرارها؟. ترتدى الروب الذى تتلهف عليه فى تلك الساعة. تفـتح نافذتها وتنطلق بين أحراش البيت هنا وهناك. أمـعقول أن تعيـد الكرة وتكشـف نفـسها هـكذا بكل وقاحـة. أمعقـول أن تكرر كل مرارة الأسبـوع الماضى من خوف وقلق. انتصرى على الشـيطان ولا تدعيه ينفذ بوساوسه.

إقرأى قل أعوذ برب الفلق..

اقرأى قل أعوذ برب الناس...

هدأت مضت تعيد ترتيب منزلهـا.. عادت ونظرت من خلف خصاص النافـذة. مـازال واقـفـاً يهـيم. اشتـد الاضطراب. الأفـكار تدق بالرأس. تستجيب لوساوس الشيطان.. لا بالطبع. تتـركه فى صبوته دون أن تشاركه صعب. يسار.. يمين.. حلال.. حرام.

وعندما توقف التفكير للحظة اتجهت نحو النافذة وفتحتها نصف فتحة، وعاد زمن الوصل. العين والفرسة وشمس مذهبة تخترق الظلام من حين إلى آخر.

اتجهت نحو النافذة.. رفعت رأسها ولمحته، وأغلقتها. انقطع التيار.

مفاجأة خروجها أسعدته وغطت على كل شيء. نعم عاد إلى حالة عدم التوازن بعدها إلا أنها لم تستغرق سوى يوم واحد أطال فيه صلاة الفجر، وتناسى صلاة الظهر والعصر. ثم عادت سيرته الطبيعية مرة أخرى.. انتظام فى النهار وأول الليل مابين الدراسة والتعبد، وتطلع فى آخر الليل نحوها. لكن لِمَ ظهرت ثم اختفت ثم عادت للظهور ثم اختفت؟. لغز يشابه اختفاء الأنبياء وانبعاثهم .. اختفاء الهلال وعودته.

هل تدرك أننى أراها؟. لا يمكن أن تظل كل تلك المدة فى استعراضها ولا تدرك. ألم تلمح قط ضوء النافذة وشبحى؟. أتظهر لى أعز ما تملك طواعية؟. أتعشقنى كما أعشقها؟. لِمَ إذن نظرت لى والغضب فى عينيها وأغلقت النافذة بقوة؟.

مر يوم واثنان. وما تخافه لم يحدث وما تحبه يحدث. إقدامه إليها تأكد تقدمه، وتطلعه إليها من بعد منتصف الليل ماض.

لكن لِمَ لا يعترضنى فى يوم ما يحاول أن يحدثنى؟ لِمَ بعد التأكد من إحجامه يجمح فى يوم ما ويطلب الوصال عن قرب؟. لكن كلما استعادت صورته اطمأنت أن صاحب اللحية العارف بربه المداوم على أداء الصلاة بالمسجد لن تمتد به المعصية والفجور إلى هذا الحد.

المخاوف كثيرة والأسئلة أكثر لكن تختفى كلها فى ساعة الخميس.. الواحدة من بعد منتصف الليل.

اطمأن كل منهما للآخر ومضت العملية السرية تعيد نفسها كما هى دون زيادة أو نقصان وتكسرت تحت أقدامها المخاوف والأسئلة.

وفى نهاية المطاف انضافت قبلة جديدة إلى حياتهما ●

استئصال الثدى

خطوات العملية أعرفها تماماً.. المهم أن أتخذ قرار القيام بها..

طوال فترة الامتياز وأنا مهتمة بالجراحة وبالذات جراحة الثدى.. كل صباح أذهب إلى قسم الجراحة وأتابع جدول العمليات.. فإذا كان من بينها عملية استئصال الثدى.. على الفور أستأذن الدكتور وأتعقم..

أقف بجوار الأستاذ أنصت لكل كلمة يقولها.. متنبهة لكل خطوة يجريها... ليس مجرد خطوات العملية ولكن اللمسات الدقيقة.. كيف تكون حركة المشرط.. طريقة مسكه له، كيف تكون ضربته قوية أم هينة.. كيف يتعامل مع بؤر الدم، والطريقة التى يسيطر بها عليها.. حركة المقص فى يديه، تسليك الأنسجة، مسكة الجفت.. كل ذلك أتابعه بنهم.

فى فترات الخلوة أستعيد خطوات العملية أمام عينى.. وأحياناً كثيرة أقوم بها على قطعة قماش أضع تحتها شيئاً بارزاً.. قطع أهليجى يبدأ من الحلمة والهالة التى حولها ويمتد على جانب الثدى.. قطع آخر طولى يبدأ من الرقبة ويمر بمنتصف الصدر فوق عظمة القص حتى الزائدة الحنجرية.. أبدأ فى تسليك الجلد من الأنسجة السفلى باتجاه عظمة الترقوة من أعلى، وحتى غلاف المستقيمة الأمامية والعضلة المائلة الخارجية من أسفل.. من منتصف الصدر حتى العضلة العرضية الخلفية من الجنب..

أبدأ فى إزاحة الدهون وبقية محتويات الثدى.. لن أحتاج هذا إلى استئصال جزء من العضلة الصدرية الرئيسية ولا العضلة الصدرية الصغرى كما فى العمليات التى تجرى لأورام الثدى.. لن أقترب أيضاً من الغدد الليمفاوية بمنطقة الإبط.. فى النهاية أقوم بخياطة الجلد ووضع درنقة.. اذن

هى عمليـة أسهل بكثير من العـمليات الأخرى التى رأيتـها ومع ذلك أرانى هائبة من إجرائها..

ـ تعالى أقنعك باجرائها.. أنت فتاة مسلمة ألست كذلك..؟

ـ نعم بالتأكيد

ـ حسن وتواظبين على أداء الفروض؟

بالتأكيد والنوافل أيضاً.

ـ وخشية ربك تملأ قلبك.

ـ نعم لحد ما..

ـ فلم إذن تخافين من إجرائها..؟

ـ السبب ذكرته فى السؤال..؟ الخوف..

ـ وما العـمل طالما سدت أمامك كل الطرق.. ألم تكونـى يوماً متبـرجة تلبسين البلوزات الديكولتيه والبنطلونات الضيقة.. والجيبات القصيرة؟.

ـ كفى.. لا تذكرينى بتلك الأيام السوداء من حياتى..

ـ ثم كنت تضـحـكين وتمزحـين مع زمـلائك وتجلـسـون مـتـجـاورين بالمحاضرات وتقضون وقتاً طويلاً بالكافتيريا..

ـ قلت لك كفى لا تذكرينى بتلك الأيام التى ستذيقنى عذاب الجحيم.

ـ ظللت هكذا فى علاقـاتك مع زملائك دون أن تشعـرين بالذنب حتى جاءت صديقتك ايمان وحدثتك فى الأمر..

ـ نعم كنت لا أشعر بواحـد على المائة من هذا الإحساس الذى يلازمنى الآن بل كنت أدرك أنهم أخوة حقيقيون لى..

ـ بدأت تكثر الحديث إلـيك عن تغيير أسلوبك فى التـعامل مع زملائك والابتعاد عنهم كلما أمكنك ذلك حتى يليق سلوكك بالفتاة الفاضلة..

ـ نعم وأفهـمتهـا أن ما أقوم به يتم بـسلامة نيـة ولا يحمل من ورائه أى

شىء غير برىء..

- جميل وأفهمتك أنه قد تكونين سليمة الغرض ولكن ما أدراك بزملائك؟.

- قلت لها بعصبية أننى متأكدة من حسن ضمائرهم..

- وردت عليك بعصبية زائدة.. كلهم ذئاب يضعون على وجوههم أقنعة آدمية.. ومن بعدها انسحبت من جلسات الكافتيريا، ومن الوقوف مع زملائك. وعندما سألوك عن الأمر كنت تجيبين بابتسامة جافة بأنه لاشىء...

واقتصرت علاقاتك معهم على مجرد تبادل المحاضرات والملخصات..

- لو تسمحين لم يمض الأمر هكذا لفترة طويلة.. صديقتى إيمان حدثتنى بأن لديها محاضرات جاهزة يطبعها الاتحاد، وأن أى شىء أحتاجه زميلاتها كفيلات بتحقيقه.

- وانقطعت صلاتك بزملائك نهائياً.. فى البدء كنت تردين على من يصبح عليك بالعافية فتجنبوك هم نهائياً.. مضت فترة شعرت فيها بالرضى عن النفس.

- آه.. لم تدم طويلاً.

- انظرى لا شىء مرضى النفس إلا الحلول الجذرية.. شعرت بعدها برغم ابتعادك عن زملائك بأن عيونهم مازالت تراقبك وأنهم ينظرون إلى ساقيك وذراعيك بنهم شديد.. ليس هم فقط بل عيون كل الرجال..

- عيون متوحشة تفترس جسدى..

- بل زميلاتك أيضاً اللاتى تجلسين بينهن ينظرن إليك استنكاراً لمظهرك فقررت أن تحاكيهن وأن تطيلى ثيابك وتخفى شعرك..

- برغم اعتراض والدىّ..

ـ وعادت اليك راحة النفس..

ـ لم تدم طويلاً أيضاً وعاد إليّ صوت الوسواس يدق أذنى..

ـ كنت أطلت الثياب لكن ملامح جسدى من تحت الثياب مازالت واضحة..

فلجأت إلى الثياب الفضفاضة..

ـ وحمداً الله أنك وصلت إلى طريق الرشاد بعد طول ضلال.. وأصبحت حياتك لا تخرج عن إطار ثابت «المذاكرة.. الالتقاء بزميلاتك المحصنات مثلك.. المداومة على أداء الفرائض والنوافل»..

ـ الحمد لله..

ـ لكن عيون الرجال لم تعجز.. تركت جسدك ومضت تلعق وجهك..

ـ كأنما عيونهم تنبت فوق جسدى، كلما قطعتها ظهرت فى مكان آخر..

ـ لجأت إلى حل جذرى آخر.. شد الستار حول الوجه من بعد الجسد.. بذلك تسدى كل المنافذ أمام العيون المتلصصة..

ـ .. ها أنا أصبحت كائناً مخفياً لا تستطيع عين كشفه إلا إذا استخدمت الأشعة السينية.

ـ مع ذلك بقى شيء بداخلك دقيق يؤرقك.. تشعرين به مع حركة الأرداف واهتزاز الثديين.

ـ فعلاً برغم ماتحصنت به من أغطية.. أرى دائماً ثديى يمزقان ثيابى ويخرجان متأرجحين يترافصان أثناء سيرى.. وأن العيون لا تهدأ عن متابعتهما. شعرت أنهما شعلتان تحرقانى من الداخل.. وأن الجحيم الذى بنفسى يزداد بهما. وقفت كثيراً أمام المرآة وأخذت أشدهما لعلى أخلعهما.. ويصبح جسدى نقياً..

ـ انظرى ها أنت وصلت للنتيجة الحتمية التى لابد أن تلجأى إليها..

ماذا تنتظرين.. دبى بمشرطك بهذا العضو الملعون.. لاتخافى فالنقمة والحنق اللذان بداخلك سينفيان شعورك بالألم.. لن تحتاجى إلى مخدر عام يكفيك الموضعى.

ـ نعم ماذا أنتظر أين أدواتى سأحضرها حالاً..

ـ هيا أسرعى أغمدى المشرط.. شقى به ثديك.. نعم هكذا.. سلكى الجلد.. هائل.. نظفى محتوياته.. تخلصى منها.. ألقى بها بعيداً.. عظيم الناحية الأخرى.. لاتنسيها.. تحملى قليلاً.. نصف المهمة انتهى..

ـ لا أستطيع التحمل..

ـ لابد أن تتحملى حتى لا يعاودك الشعور المنغص.. أغمدى المشرط.. شقى.. سلكى.. اكتمى بؤر الدم بالجفت.. نظفيه.. انتهينا أخيرًا.

خذى غرزك.. واقفلى الجروح..

ها.. لعلنا ارتحنا الآن ●

معبد ستنا مارسيل

اتساع كبير يقف فيه المتعبدون بجلابيبهم البيضاء التى تحتوى أجسادهم النحيلة العليلة وترفرفت مع نسمات الفجر التى تأتى من النوافذ المفتوحة كقلاع المراكب. يمتد أمامهم ممر طويل ينتهى بشباك زجاجى طويل يملأ الواجهة.

خارج تلك النافذة الزجاجية الكون بأكمله.. أرض فضاء منزرعة.. فرمال.. فبحار.. فسماء.. يمتد فنار فى منتصفها كامرأة رشيقة القد.

مع أذان الفجر تدق الدقة الأولى للملك الأبيض الذى سيأتى ليقضى على الليل الأسود. وإذا اجتمع المصلى بجوار المصلى بجوار الآخر عند السادسة صباحاً يبدأ الملك الأبيض فى بث رسائله تباعاً للدنيا. لمسات حمراء خفيفة تبدأ من عند الفنار تحيط بالسحب الداكنة كأنها ملائكة مجنحة تحلق بها.

وعند القيام فى الركعة الثانية أمام المشهد الكونى تزداد اللمسات الحمراء وتصبح دوائر تحيط بالسحب وترتشق بها لتخرجها من عتمتها.

وإذا سجدوا للتشهد تدحرجت قلوبهم الرهيفة مع السحب الداكنة التى يواصل ملك النهار انتصاره عليها فاككا عتمتها نحو الأزرق الداكن. وتتبسط أنفاسهم عندما يبدأ جن البحر فى التنازل عن ثوبه الأسود ليسترد زرقته بعد انتهائهم من أداء الصلاة يتجهون فى الممر الطويل نحو النافذة.

تتجه عيونهم أول ماتتجه نحو الفنار الواقف الحزين وسط السماء الذى ينبض بآخر ضوء يلف أرجاء المكان. يصل إلى عيونهم فتزداد خشوعاً وإلى قلوبهم فتعلو فوق آلامها.. حتى يفنى ضوؤه فى ضوء النهار المنبعث.

يتأكد أمامهم وجود ملك النهار ضارباً بنوره الأبيض فى السماء.. ملقياً

بحمرة السماء وزرقة السحب الداكنة نحو ذاكرة الماضى.

تزدهر الرمال صفرة ويعود الاخضرار إلى المزارع.

إذا ما أنهى المصلون تعبدهم تحركوا مع الضوء الأزرق الذى ينسحب نحو حجراتهم. يصعدون نحو فراشهم.. يأخذون كبسولة الصباح ويدخلون فى النوم.

***

فى الصباح جاء قادم جديد يحمل دفتره. دخل على حكيمة العنبر سيستر مارسيل وهى تجلس فى الاتساع الذى أمام حجرتها.

أجلسته وأخذت تقرأ هى فى الكتاب المقدس وظل هو صامتاً حتى جاء الطبيب فأخذه إلى حجرته فقام بالكشف عليه وحدد الفحوصات اللازمة وطريقة علاجه بدفتره. عاد إلى حجرة سيستر مارسيل.. وجدها مازلت تقرأ فى كتابها فجلس صامتاً لفترة. أغلقت الكتاب وأخذت منه دفتره. قام فأجلسته من جديد. طلبت منه أن يكون صائماً فى الصباح ليجرى فحوصاته، وحدثته عن نظام علاجه:

ـ هذه كبسولة الساعة السادسة والربع صباحاً.

تعجب المريض «الساعة السادسة والربع صباحاً؟!».

ـ تصحو مع زملائك المرضى فى الخامسة والنصف.

ـ الخامسة والنصف؟!.

ـ نعم.. تتوضأ معهم تصلى الفجر هنا.

أشارت إلى الاتساع الذى اعتاد أن يقف فيه المتعبدون وتجلس به الآن:

ـ تصلى ثم تأخذ كبسولة السادسة والربع.. على العموم المرضى سيعرفونك كل شىء.

ـ لكن لم أصل فى حياتى فكيف يتأتى لى أن أصحو لأصلى الفجر.

نظرت نحوه بعينين خبيرتين تدرك حقيقة موقفه:

ـ كثيرون من المرضى كانوا مثلك ثم بمفردهم توجه وجهة زملائهم.

ـ لقد ظل والدى يضربنى حتى الخامسة عشرة لأصلى.

ـ ولم تصل.. أعرف.. أعرف.. خذ الكبسولة لتأخذها فى السادسة والربع صباحا بعد أن تستيقظ فى الخامسة والنصف لتصلى.

ـ لا فائدة.. لماذا لا ترسلى لى ممرضة لتعطينى إياها؟.

ـ ستأخذها بنفسك.

ـ بسيطة سأطلب من أحدهم أن يوقظنى بعد أداء الصلاة.

دخل عنبره الذى كان خالياً وجلس على فراشه وتأمل وجهه فى المرآة المقابلة وسخر من نفسه.. كيف يصلى من شرب الخمور حتى أهلك صحته؟!. لوى عنقه تعجباً.

نظر حوله تأكد انفراده بنفسه.. فاطمأن وأخرج زجاجة الكحول من جيبه. عاد ونظر من حوله فاطمأن من جديد وشرب جرعة كبيرة. دخل عليه جاره فأغلق الزجاجة وأخفاها وسأل مرتبكاً:

ـ متى تأخذ كبسولة الصباح.

فأجابه:

ـ فى السادسة صباحا.

ـ أبعد صلاة الفجر؟.

ـ نعم.

ـ وكلكم تصلون الفجر.

ـ نعم.

ـ غريبة.

ـ غداً ستكتشف أن الأمور أبسط مما تتصور.

ـ يبدو عليك أنك متدين.

ـ لا أبداً لم أعتد على صلاة الفجر إلا هنا.

وعرف من جار بيومى أنه رجل ألعبان خاض العديد من العلاقات النسائية لذلك اشتهر بتسميته ببيومى «الفتاك» حتى وقع فى حب امرأة صدرها عليل لكن قلبه كان مشدوداً نحو قلبها. وغلب حنين القلب نفوره من علة الصدر. كان يحب أن يضم صدرها النحيل ليدق قلبها فى صدره.. حتى انتقلت علة صدرها إليه وأصيب بالدرن.

دخل المستشفى وهو مسلول الجسد بقلب كليل يبكى على حاله.. يرتجف عند الفجر كلما رأى المصلين فى معبدهم يصلون. أنينهم أثناء الصلاة يقترب من أنين قلبه لفراق الحبيبة واعتلال صدرها فصلى معهم.

«قبلة منها ياولداه تذيب كيانى كأنها جنية من السماء.. وعندما يلامس صدرها صدرى يدق كما يدق المجداف صفحة الماء. ظللت أذوب فيها حتى أذاب مرضها كيانى».

غط جاره فى النوم أثناء حكيه عن مفاتن المرأة التى أهلكته وعن أيامه معها. أعاد القادم الجديد فتح الزجاجة وشرب جرعة بعدها تفتق ذهنه.. وقفز اسم حكيمة العنبر فيه «سيستر مارسيل» وتعجب من ربطها العلاج بصلاة الفجر فاستفسر من أول مريض دخل عليه العنبر.. لكنه لم يرد، ومضى نحو سريره وجلس القرفصاء. تطلع نحو شباك الحجرة.. وظل صامتاً. ولم يكلف نفسه بالرد.

مضى وقت والقادم يراقب المريض الثابت فى موقعه.. يركز بصره نحو الخارج.. يشعل سيجارة ويلتقط منها عدة أنفاس ثم يلقيها من النافذة ليشعل أخرى حتى دخل مريض آخر العنبر.. يئز صدره فتعرف أنه جابر النقاش. دار الحوار بينهما عن المريض الساكن الصامت.

ـ إنه سالم لا يتحدث ولا يريد أن يحدثه أحد. يقضى نهاره وليله هكذا أمام النافذة ولا يتحرك إلا لأخذ العلاج أو تناول الطعام أو الصلاة معنا.

ـ ما السبب؟.

ـ قيل إن خيانة زوجته هى السبب.

حدثه جابر النقاش عن حالتـه هو. تتكرر عليه الأزمات الربوية من حين إلى آخر وتظل معه أحـياناً بالأيام. لـم يستطع الاستمرار فى عـمله كمبيض حوائط بسـبب روائح الزيت. كان خـاطباً لواحـدة جميلـة «ودلوعة» هاب الزواج منها وأنهى خطبته ولم يستطع حتى الآن الإقدام على خطبة أخرى.

«كيف يقدم من لا يجد أنفاسه على الزواج».

أصاب اليأس نفسه ولم ينشرح صدره إلا عندما دخل المستشفى والتقى مع زملائه فجراً فى أول لقاء له مع ربه.

يومـها شـعر أن أضـواء السـماء الأولى مـرسلة له خصـيـصاً لتطمـئنه فاطمأن. تعلق بها وتتـبعها يومياً أثناء صلاته ليـفك غول اليأس الجاثم على صدره. اسـتفسر القـادم الجديد عن ربط حكيمـة العنبر «مارسـيل» العلاج بصلاة الفجر.

ـ هذا النظام موجود منذ زمن بعيد.. عبـدالعال أقدم مريض معنا بالعنبر ورثه عن المرضى الذين كـانوا قبلنا حـين كان يقـيم معـهم وهم ورثوه عن المرضى الذين كانوا من قبل من قبلنا.. إلخ.

ـ ومتى وقع أول تجمع للصلاة عند الفجر؟.

ـ لا أعرف نحتاج إلى مؤرخ. لكن بالتأكيد ليس له وجود قبل إنشاء المستشفى.

مضى جابر النقاش من أمـامه وماكاد يخرج الزجاجة حـتى فاجأه زميل آخر «سـمير الـعايق» بدخوله عليـه مرتدياً قـميصـاً مشجـراً أزراره العلوية مفتوحة وأسورة حول معصمه.. تفوح منه الروائح فى كل مكان يسير فيه.

قال سمير رداً على سؤاله:

ـ كلنا كنا نتعجب مثلك حتى أسمينا المكان الذى نقيم به الصلاة بإسمها.

ـ باسمها؟.

ـ نعم معبد ستنا مارسيل.

ـ المكان الذى تقيمون فيه الصلاة تسمونه بهذا الاسم؟.

ـ نعم.

ـ إلى هذه الدرجة بلغ بكم، وبها التسامح.

ـ أعتقد أن هذه الدرجة لا تصل إليها إلا هنا فى هذا المعبد «معبد ستنا مارسيل» فأنا مثلاً لم يصدف أننى صادقت من هو على خلاف دينى أبداً.

ـ وهى.

ـ متدينة جداً.. اعتادت على التأخر كل يوم أحد لذهابها إلى الكنيسة.. طوال فترة تواجدى بالعنبر لم تنقطع عن الذهاب. تلتزم بالصيام فى جميع أيامه. وكثيراً مانشاهدها تسحب كرسيها وتجلس به فى الاتساع الذى أمام حجرتها ـ أى اتساع معبدها ـ تقرأ الإنجيل وكتب القساوسة.. هناك فى هذا المكان بالذات.

قال القادم مبتسماً: إنكم تتعبدون كما تتعبد هى فى معبدها إذن؟.

ـ نعم.. لا فرق.. انها تشاركنا صلاة الفجر أيضا.

ـ تشارككم صلاة الفجر؟.

ـ نعم عندما تكون لديها نوبتجية سهر فى المستشفى تأتى إلى معبدها عند صلاة الفجر تتابع صلاتنا وهى مشدوهة بمنظر السماء الذى يتغير من النافذة.. يكاد قلبها يبكى ونحن نرج القاعة بتكبيراتنا. ومتى انتهينا من الصالة فتحت الإنجيل تقرأ ودموعها تسيل على خديها.

فى المساء دخل العنبر سيد عكاز وهو يضغط بإحدى يديه على ركبته

أثناء سيره. وعلى وجهه آثار جرح قديم بسكين أو مطواة.

ـ السلام عليكم.

اعـتدل مـرضى العنبـر كلهم، وردوا على الفور سـلامـه حتى السـاكن الصامت رد التحية.

إلا المريض الجديد لم يرد. اقترب منه جاره بيومى الفتاك وهزه فأفاق. حدثه:

ـ سلم على هذا الرجل إنه كله شر انظر إلى وجهه.

وجاء رده متأخراً عن بقية المرضى:

ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نظر إليه بنظرة فاحصة ثم أعطاه الظهر. خلع قـميصه فظهرت عنده عدة شرط بظهره. ارتدى جلباباً.

حدث بيومى الفتاك زميله القادم الجديد:

هذا الرجل لا يستطيع أن يكلمه أحد بالمستشفى. فتوة لا يهمه أن زادت عدد شرطه شرطة جديدة ولذلك يدخل ويخرج من المستشفى كما يحلو له. لقد أصيب مؤخراً بجرح كبير مازال يعانى من تقيحه ويعالج منه حالياً بالمستشفى.

توقع القادم أنه سيكون آخـر من يؤدى معهم صلاة الفـجر ولكنه فوجئ بمحدثه يذكر له:

ـ على الرغم من ذلك هو الذى يوقظنا لأداء الصلاة.

ـ على العموم فيه الخير أنه يمر عليكم ليوقظكم.

ـ أتريد من سيد عكاز أن يمر علينا ويوقظنا فرداً فرداً.. إنه يوقظنا بأذانه الجميل.

ـ أذانه الجميل؟!.

صـعق القـادم من أن يكون هذا الكائـن المتـعـارك المشـرط الوجـه من ضربات المطاوى السكين والذى لا ينم عن ذرة خير واحدة. يمكن أن يؤذن أذاناً جميلاً.

ـ سوف تسمعه وتحكم.

قبل أن يدخل القادم الجديد فى النوم توقف رجل محنى القامة أمام سريره يتطلع إليه ويبكى قبل أن يصعد إليه. صاح أحد المرضى.

ـ مالك ياعم عبداللا.

ـ تصور يابنى أننى حتى لا أقدر على صعود السرير.. تقدم المريض منه وحمله بين ذراعيه نحو الفراش. استند عبداللا بظهره على أعمدة السرير. وهبطت الدموع على وجنتيه.

حدثه جاره:

ـ نم ياعم عبداللاه لكى تستطيع القيام لصلاة الفجر معنا.

حدث القادم الجديد نفسه: «حتى أنت ياعم عبداللا يامن لا تستطيع الصعود إلى فراشك تشاركهم الصلاة».

دخل الجميع فى النوم ولم يتبق إلا القادم الجديد والساكن المتأمل. ظل القادم يتأمله حتى دخل فى النوم وتركه فى تأمله للعالم المظلم خارج نافذته..

والسكون يعم العنبر حدثت ضجة لارتطام عكاز سيد بالأرض. تنبه لها الزائر الجديد الذى كان نومه متقطعاً لقلقه. أخذ سيد يدب الأرض بعكازه ويتردد صدى الارتطام أثناء سيره فى الممر الواسع.

سمع القادم صوت تدفق المياه من الصنبور فى الحوض، وسيد يردد الشهادة. عاد إلى حجرته ودبته تتردد فى أذنه حتى تنمحى فى أرجاء المكان. نشف وجهه وساعديه.

أخذ سيد المذياع من على سريره واتجه به نحو الاتساع الذى بين حجرات العنبر.. أو معبد ستنا مارسيل وجلس على الحصيرة وفتح المذياع على إذاعة القرآن الكريم وترددت شعائر صلاة الفجر.

زاد عدد المتقلبين فى الفراش بينما جلس القادم الجديد فى فراشه بعد أن فارق النوم عينيه.

تطلع نحو الساكن الصامت فوجده مازال يجلس القرفصاء باتجاه النافذة لكن رأسه ملقية على صدره والنعاس يغمره.

وعندما بدأ الأذان فى الراديو أغلق سيد المذياع واستند إلى كرسى مجاور حتى استطاع الوقوف. استند بكتفه نحو الحائط وأخذ يؤذن: «الله أكبر.. الله أكبر..» بصوت كله شجن كأنما تجمعه آلام كل الطعنات التى تلقاها فى صوته. يشيع وقاراً.. يحاول أن يستدعى طريقة الشيخ محمد رفعت فى الأذان فى أدائه.

جلجل صوته فى أرجاء المعبد واهتزت الأفئدة واستيقظت العيون.. وبدأوا التحرك من فراشهم.

تعجب القادم الجديد من استيقاظهم جميعاً فى نفس الوقت تقريباً.. دون تلكؤ لاستكمال النوم أو تقلب فى الفراش، ودون استرخاء أثناء تحركهم.

بسملاتهم أثناء وضوئهم وصلت إليه ـ وهو فى الفراش ـ هادئة كأنسام الفجر.

تحركوا بعدها إلى المعبد يصلون السنة ويقرأون القرآن متطلعين نحو النافذة التى فى نهاية المعبد حتى ظهر أول خط أحمر فى السماء. استند سيد عكاز إلى الكرسى حتى وقف ونادى إلى إقامة الصلاة.

يتقدم جابر النقاش ليؤمهم فى أداء الصلاة ويجتمع الباقون من خلفه يرفع يديه ليكبر.

يقرأ الفاتحة. وعندما يبدأ فى قراءة سورة الرحمن تبدأ اللمسات الحمراء فى السماء فى الازدياد فتلمس قلبه ويعلو نحيبه مع التلاوة.

«فبأى آلاء ربكما تكذبان» عندما يرددها تكون عميقة كأن صوت ترددها قادم من قاع بئر.. يريد صاحبه أن يخلصه من عثرته.

وعندما سمع القادم النحيب ترك فراشه وتوجه نحو المعبد ووقف من خلفهم ارتجف قلبه لنحيب جابر وانبهر باللمسات الحمراء وهى تسبح بالسحب السوداء.

كان سيد عكاز جالساً أثناء وقوفهم يرتفع بعينيه إلى أعلى من هاماتهم نحو السحب الداكنة وهي مرتشقة بالخطوط الحمراء. مضت يده نحو جرحه فتلطف الألم وهو يكبر.

في هدوء يتبع الساكن الصامت المصلين بينما تباطأ عبداللا المسن عنهم أثناء ركوعهم، وتأخر عنهم أثناء سجودهم. دمعت عيناه. أثناء انزلاق دموعه في الممرات التي صفها الزمن على وجهه.. رأى القادم دموعاً أخرى حمراء تنزلق من السحب التي يخطف النهار سرها الأسود.

نظر نحو سمير العايق، وبيومي (الفتاك) المتجاورين في الصلاة هل يمكن أن يخمن أحد سلوكهما وهما في هذه الدرجة من الخشوع.

لو ألقوا بنساء الأرض أمام بيومي وأحدث الأياء أمام سمير لما نظرا إليها وهما بهذا التألق وضوء أبيض خفيف ينعكس على جبينهما.

أثناء سجودهم رأى السحب الداكنة تسجد هي الأخرى على البساط الأحمر الذي يحيط بها. ارتجف قلبه لتوالي السجود في المعبد والسماء.

قام المصلون لأداء الركعة الثانية.. وجابر النقاش صوته يتردد في جوف صدره مصاحباً أزيزه المنغم فيبدو عزفاً خالياً من المرض. تلامست أجسادهم الضعيفة وتلاقت قلوبهم التي تنمو مخترقة أطواق المرض وتصاعد شجنهم أثناء التكبيرات. والسماء معهم تتبدل.. تنبض ضوءاً في أرجائها والسحب الداكنة تذوب من حولها الدوائر الحمراء لتبدأ الحياة من جديد بثوب النهار الأبيض.

لم يستطع الزائر مقاومة نفسه.. بل لم تكن هناك مقاومة.

ذهب ليتوضأ وقلبه ينبض نبضاً وديعاً. دون أن يدري انضم إلى زملائه العابد الجديد. بينما سيستر مارسيل تجلس في الخلف بوجه هادئ المراسم يشع طمأنينة. تضم إنجيلها نحو قلبها كما تحنو العذراء على السيد المسيح.. وكما يضم ملك النهار الذي يبيض صفحة السماء.. سحبه بين كفيه ●

آمال هنا.. والعالم هناك

هنا أمال بجوارى

أمال هنا على حـدود العالم.. تبرز من على سـطحه.. ترتدى زياً أبيض كثلوج الجـليد، وتتوج رأسـها بالإكليل السـماوى. جـسمهـا دقيق كـبرعم ينتهـى بزهرة ياسميـن تبتسم. وجـههـا هادئ كصـفحة مـاء النيل.. يرسل الإحساس فى العالم كما تفعل أشعـة الأصيل.. تسير على البساط الأخضر بكونها الأبيض المحاط بها.

تتهادى ملكة جليد نحو زهرة بيضاء مغمضة الأوراق.. بيد ضئيلة قادمة من عالم الأطفـال، وبكف شفـافة ـ يدرك العراف لو تأملـها أنها قـادمة من مدن السحـاب ـ تقترب من الزهرة لتحمـلها.. طرفها الأخضـر يتدلى نحو قلبها.. تطير نحوحجرتها الزجاجية قبل أن يلمحها الناس فتذبل.. تخرجها وتضعها فى زهرية عند التقاء الشمس.

مغمضة العين تتمهل فى فـتح جفونها، وحينما اطمأنت أن ملكة الجليد بجوارها انفرجت أوراقـها.. تتمايل نحو كل ركن من العالم الصـغير الذى تحيا به، وبانت عينها بأكملها.

***

وهناك العالم

العالـم سوداوى اللون.. يملؤه.. دخـان كثيف غلـيظ لايتطلع فيـه أحد نحو الآخـر. صف من السيوف الحادة المشـرعة بأعلاه وآخـر بأسفله.. على أرضه أجنحة لا تجد من ترتبط به لتصعد.

تزحف هياكل ينسلخ اللحم من على جســدها أثناء تحـركها حتى تعود

ـ كما كانت قبل إتمام الخلق ـ عظاماً لا يكسوها لحم.

وبقايا بشر: أذرع منزوعة من منبتها.. أرجل ملتوية.. أياد تسبح فى الفراغ أقدام تغوص.. أظهر مقوسة تتقوس.. تتجمع على الأرض الجرداء فى خزائن يتساقط منها أفواه مفتوحة لأطفال جوعى.

عيون ضاحكة فى أعلاه تتجمل بالسيوف المشرعة التى تحوط بها.. ترسل حبالاً لتقلب الأجزاء كما يحلو لها.. أكروبات.. العالم يلعب أكروبات.

***

مزج العالم وأمال معاً

فكا العالم ينضمان وأمال بثوبها الأبيض مع زهرتها البيضاء بالحجرة الزجاجية.

الزهرة مالت بجزعها نحو أعلى، وتبعتها أمال ونظرت بانكسار نحو الفك الذى يقترب.

أغمضت الزهرة أوراقها ثم اتجهت نحو التقوس السفلى ومعها أمال.

ثنت الزهرة جزعها وسقطت نحو الأرض.. مالت أمال نحو زهرتها وسجدت بجوارها.

فكا العالم يضيقان.. يضيقان نحوهما ●

..وفقدت مناعتى نحو الحب

..... وفقدت نفسى المناعة وأصبحت سماءً مفتوحة.

بدأت الأعـراض فجأة دون إرهاصـات تنبأ بـوقوعهـا، ومضت حـالتى تتـأزم يوم بعـد يوم. كانت قـبل ذلك عـادية جـداً، أتعامل مـع الناس كمـا تتعاملون.. نزاملهم بعض الوقت.. نبتعـد عنهم معظم الوقت. نصافحهم.. نقـبلهم، نجلس مـعهم.. نتـحـدث إليهم.. ندردش فى مـوضـوعات هامـة وتافهـة، نضحك... نشكو ونتـشاجر فى أوقـات أخرى.. نتـراحل سويا،و «نعـزمهم».. نهنأهم ثم نـتركـهم ويتركـونا. كل فى حـياته يسـير، وينعـدم أثرهم.

مضيت على هذا المنوال الذى لا ضـرر منه ولا طعم له حتى تحدثت مع شـوقى زمـيلى بالكلية بقلـب مفـتـوح. كنا زمـلاء كـأى زمـلاء نحـضـر المحـاضـرات ونجلس بالكـافـتـيريا... المحـاضـرة القـادمـة هامـة لابد أن تحـضريـنها... هذه الأسـئلة هامـة خـذى بالك منهـا... هذا ملخص ممتـاز للكتاب الداهية.. الباب الأول لاتنظرى إليه، والأخير «اتكّى» عليه.

فى يوم جاء بوجـه متجهم. حاولت أن أحـرك الابتسامة عليـه... لكنها كانت تلقـى أرضاً صلدة تصدها وتقطـع الطريق عليها. نظـرت نحوه نظرة حانية تنم عن «ماذا بك».

مـرت نـظرتى الحـانيـة بالأرض الصلـدة واسـتطاعت أن تـكشف عن مستورها.

أمر بمشـكلة عائليـة بين والدىّ قد تنتـهى بانفصـالهمـا. عندما تقـترب الكهـولة من الزوجـين تنظر المرأة نحـو جمـالها الـذى يزول بحسـرة وقلق

وتصبح معركتها الأساسية لتثبيته، فتكثر من الزينة وتتبع صيحات الأزياء الحديثة، وينظر الرجل نحو الخارج ليبحث عن امرأة أكثر جمالاً واستقراراً.

رق قلبي لحالة شوقي الذي كان لا يمل الضحك والسخرية وكنت أظنه إنساناً فريداً من نوعه.. إنساناً بلا مشاكل وبوجه باسم، صار فريداً من نوع آخر إنساناً بمشاكل مؤرقة بوجه ضاحك. كانت نظراتي الحانية تحوم حوله واستطاعت كنسائم البحر أن تلطف حرارة المعاناة.

وأصبحت تفاصيل المنغصات اليومية عندي أول بأول بالأمس سبها... ولعن اليوم الذي ارتبط بها... صباحاً رفضت أن تعد له مائدة الافطار فخرج ولم يعطها ماتحتاجه من نقود.. ظهراً بعد عودته ركلها وأخذ بعضه ونزل. إخواتي - وكلهم يصغرونني - يهربون بداخل حجرة مغلقة وأنا أنظر إليهم لا أملك حلاً.

تراكمت مشاكله وتراكم همه بداخلي. صرت كأنني فرد من أسرته تعصرني مشاكلها وأواجه نفس مأزقها أحاول البحث عن مخرج له. الانفصال شيء بغيض ومهلك للأسرة، الاستمرار مستحيل وليس بينهما حل وسط.

.... واجتاحني الشعور.. أروع شعور بالدنيا. الشعور الذي يجعل العين متألقة زاهية والأذن مرهفة لأدق نغمة في الحياة ولو كانت انتظام النحلة في سيرها. تصبح بقوة قادر محمولاً من أول أرض إلى سابع سماء.. خفيف تستطيع أن تلف الأرض في ثوان.

حتى الآن يبدو كل شيء طبيعي.. صحيح ليست كل فتاة تمر بما أمر به.. لكن هناك كثيرات مثلي. أول عَرض غير طبيعي عندما جاء يشكو لي أنه يود ترك منزله، لكن لا يعرف إلى أين فاجتاحني الشعور القاهر واندفعت أعرض عليه أن يأتي معي إلى منزلنا بكل بساطة.. فصمت واستغرق في تعجبه.

عاتبت نفسى بعدها.. كيف يخرج منى عرض مثل هذا. لايمكن أن أكون أنا التى قلت ماقلته. ولكن وقتها كنت أشعر بشىء واحد فقط هو أننى أريد إنقاذ حبيبى، هل يملك أى إنسان لديه أى قدر من الإنسانية الوقوف مفكراً فى نفسه أمام إنسان مثله فى الإنسانية يغرق.

بدأ يسىء الظن بى، وأنا كل مايدفعنى لذلك أننى لا أريد إغضابه، وكفى ماالديه من هموم. الحب ملأ كيانى جعلنى لا أستطيع أن أقول «لا» لمن أحب. خرج الحب من قمقمه وطغى على كل شىء. هو فقط الملك المتوج على غابة المشاعر.

.... ونقدم القلب المحب صار ينتشر بكيانى كحزمة الضوء المتحركة يفرش كل يوم مساحة جديدة. أصبحت كالوتر المشدود عن آخره يهتز لأقل لمسة من يد حاسة، أو كنبع الماء الصافى يظهر على سطحه أقوى استجابة لأقل احتكاك.

***

.... وأحببت معتزاً. شاهدته يلعب على المتوازيين ببراعة ورشاقة.. ثنى الذراعين وفردهما، مد الساقين وثنيهما.. حركات متناغمة واحدة وراء الأخرى. الصعود والهبوط، تبادل حركة الذراعين والساقين بسرعة فائقة.. ضمهما، انفراجهما، دوران الجسد على المتوازيين والتطويح فى الهواء فى لفات متتابعة. سيطرة على الجسد تقول أنا الملك المحرك المهيمن المنسق السيد. قابلته بعد العرض مع أخى صديقُه. نفس الرشاقة فى خطوه، خفة وقوة تسيران معاً على الأرض. سلوكه هو الآخر منتظم.. «يدوب على القد».. ابتسامة.. أو كلمتان أو ثلاثة للرد على السؤال. اختصار.. حذف ماليس له لزوم. ابتسامته مثل حركة جسده على المتوازيين ثنى.. مد. يثنى خديه ثم يبسطهما على الفور. الضحكة هى الأخرى كذلك يتسع الفم

وقهقهة عالية ثم ينضم الشدقان ويعود الوجه إلى وضعه الأول على عجل.

نظرة العين نحوى قـوية ثابتة، ومهذبة أيضـاً لا تقتحم عرين الشخـصية من الداخل أو تصيبها بارتباك، ثم تجول بعيداً عنها. حتى عندما يسلم يسلم بقوة ضاغطاً على اليد يأرجحها بين كفه ثم يتركها فجأة.

حدثنى أن حياته تسير بنفس الدقة. سـاعة مذاكرة وساعة راحة. للصلاة وقت، ولسماع الموسيقى الغـربى وقت، وقت لمقابلة الأصدقاء وآخر لزيارة الأقارب، للتدريب وقت وللقراءة وقت وللسينما وقـتها. كل حياته أوقات منضبطة موقوتة بالساعة.. لذلك أعجبت به. قـد تقولون إنها آلية سخيفة.. لاأبداً إنهـا نظام تديره إرادة بشرية تـختـار وتوفق وتنسق وتجبـر صاحـبهـا لاتبـاعه وليـست ميكنة تـعمل بالتـسيـير الذاتـى.. انتظام به خفـة ظل بادية تجعلك تبتسم وتعجب بصاحبها.

حاولت أن أقاوم شـعورى نحوه بالجزء اليـسير من المقاومـة الذى تبقى لدىّ فـعلاقـتى بشـوقى توجب علىّ أن أمـتنع عن ذلك. لكن فى يوم بعـد انتهاء دورة ألعاب قوى وجـدته مهموماً، حتى انتظام حركته صـار متعثراً.. فاقداً الدقة والرشاقة والعزة المعهودة.

مـالك ياحبيبى. لـم أفز بأية جـائزة برغم المجـهود الرهيب الذى بذلتـه قُـضى على طموحى. تعـوض ياحـبيـبى تعوض، العـالم لاينتـهى بمسابقـة واحدة. اجـتاحـتنى بحور العـشق بموجهـا الغالب وسـقطت قلاع المقـاومة المتهالكـة. كنت أود ضمه ليذوق طعم الشـوق الذى بى. بالتأكيد سـيقضى على طعم المرارة عنده. كنت أود لـو أبحر بمركب شـراعى داخلى ليمـضى بعيداً عن الشاطئ الصخرى الذى يقف عليه.

فارقـنى النوم أنى أتت معـاناته معـه. عندما ينكسـر الإنسان الشـامخ.. عندما يتصدع بنيـانه وتتكوم حجارته لا يضاهيه انهيـار جبل. ماذا منه يبقى

إذا ذبحت طموحاته بعد أن كانت منطلقة أمام عينيه فى السماء وتجوب الأجواء ثم تسقط على الأرض وتنكفأ رأسه معها.

الطاقة التى بذلت للانتظام فى التدريب بل والانتظام فى الحياة كلها، وآلاف التمرينات والإجهاد، والطاقة التى بذلت لمقاومة مغريات الحياة تصبح كل تلك الطاقات بلا تتويج تناله حرام والله حرام.. لماذا نظام الجوائز يقتصر على ثلاثة يفوزون فقط ومئات يقلدون بالتعاسة. بل لعل الأول هو السعيد الوحيد والاثنين الآخرين يغاران منه. أكثر من مقابلته حتى أساعده على عبور الأزمة ويستعيد الانتظام المفقود.

***

لم أنس شوقى ظلت معاناته تقلقنى وتسبب لى كدراً. أصبح بداخلى كيانان.. كل منهما يمتص رحيق الحياة. لكن جاءنى فى يوم ونظر نحوى نظرة طويلة وقال: التى تعرف اثنين لايمكن أن تكون إلا.. فاجرة. فاجرة؟!.. كل هذا الحنان والمعاناة من أجلك وأصبح فاجرة.. أتعطينى كل ما أعطيته لك فى يوم من الأيام إذا احتجت إليه. فاجرة.. أنا يا شوقى؟!.

لك عذرك أى رجل فى مكانك سيفعل نفس الشيء بل وأكثر. أكيد تعانى من صدمة تتراكم على ما أنت فيه من تعاسة. معقول بدل من أن أكون بلسما لك أصبح وبالاً عليك. لابد من الاتصال بك. (شوقى أسمعنى لم أقصد.. كل شيء تم بقوة غريبة تجتاحنى.. شوقى حبى لك كما هو.. شوقى.. شوقى لاتغلق السكة.. شوقى). كنت على وشك الانهيار بعدها.. لاطعام.. لانوم.. لا راحة نفس. أعاد لى معتز بعض الثقة بالنفس عندما بدأت حالته تتحسن ويعود إلى حالته القديمة. لكن حدث شيء لم يكن فى الحسبان..

***

انفـتح أمامـى عالم الألوان بكل روعـتـه ودرجاتـه. صرت عندمـا أرى اللون الأزرق السـمـاوى أشـعـر بأنى مطمـئـنة مـرتاحـة.. أود لو جلست مسـترخية تاركة أجزاء جـسدى فى أى وضع تشاءه، ليداعـبها طيف اللون السماوى. اللون الأزرق البحرى عندمـا تقع عيناى عليه ينفتح صدرى عن آخره لأستنـشق هواء العالـم مختلطاً بعـبير البحـر . الأزرق الداكن يجعلنى أنكمش أضم ذراعى نحو صدرى، أضم ساقى نحو الجذع. الأحمر الداكن يشعل نيراناً مـتأججة بداخلى تجـعلنى أود القفز فوق كل الأشيـاء. الأحمر الأرجوانى يأخذنى معه لأسبح فى عالم رقيق سمح شفاف..

اللون الأخضر يحقق ثراء بداخلى يشعرنى ولو للحظات أن السلام يعم العالـم بلا حرب بلا جريمة واحدة بلا عراك أو حتى مشاداه. اللون الفزدقى يرتفع بى إلى غـصن شجـرة لأتحدث إلى عـصفـور مثلى. الأصـفر القـاتم يجـعلنى أسير فى زوبعة وأن الأشـياء ضـبابية غـير مميـزة، والفاتح يحـيل الضبابية إلى نور متألق لو ذبت فيه. اللون البنى يمنحك الصلابة بأنك قوى راسخ.. جذورك بعـيدة فى الأرض عندما تخـتلط الألوان تختلط المشـاعر. فـتجىء الثـورة مع اللون الأحـمـر، ويأتى اللون الأزرق ليحـلق من بعيـد، والبنى ليجذبنى لأسفل.

انفتح هذا العالم فى مـعرضه أثناء تجوالى أمام لوحـاته البديعة. لـم يكن تجوالاً عادياً بل تحليقاً. أستنشق فيه عـبير الجمال ويتسلل نحوى هواء جديد لم أتنسـمـه من قبـل. كنت أشعـر أنى اللون الأزرق السـمـاوى الموزع فى لوحاته بطريقة رائعـة. تملك ألوانه قوة جذب عجيـبة تحملنى وتدخلنى إلى لوحاته لأصبح نسيجاً متمماً لها.

همس فى أذنى فأفاقنى:

ـ أراك منبهرة بلوحاتى.

- أنت فنان.

- يبدو أنك حساسة جداً. لولا إحساسك لما وصل إليك الفن.

كانت صورته مثل الصورة التي رسمها ذهني للفنان من قبل. ليس بالطويل أو القصير.. نحيفة يداه في حجم يديّ الطفل وعيناه في مثل براءته. شعر الذقن الأسود يغطي الوجه. يرتدي البنطال الجينز وقميصاً زرت أساوره.

يبدو الارتباك واضحاً على سلوكه. سألته عن إحدى لوحاته البديعة. مضى معي نحوها وأخذ يتأملها كما لو كان يراها لأول مرة وليس خالقها.

أخذ يحلل في العمل ويقول. يجوز الإحساس المقصود كذا، ثم يصمت أو لعله كذا.... أو يمكن أن يكون كذا. تعجبت من عدم التحديد.

- عندما أرسم اللوحة نكون أنا وهي شيئاً واحداً. وعندما أنتهي منها نكون شيئين.

هذا عكس شعوري تجاه معظم لوحاته بأنني نسيجاً متمماً لها. من هنا بدأت لضمة الخيط التي ربطتني به. فهو يشعر أنني لوحاته المتحركة والمبتسمة أمامه ومعه، وأشعر أنا أن يده أبدعت في لوناً جديداً. ظللنا نعيش في عالم الألوان المبهرة والمتناغمة حتى جاء الوقت الذي انطفأت ألوانه فيه وسادت الظلمة. يد حبيبي التي أيقظتني ونبهتني على العالم الجديد أصابها العقم وتوقفت عن توليد اللوحات.

- ذهب ومضى الشيء العجيب الذي يدفع النبض في روحي لأرسم ذهب ومضى وطال غيابه ويبدو أنه لن يعاود المجيء.

شيء مروع عندما يجد نفسه بين يوم وليلة كجبل ضخم وداخله مجوف تماماً. إنسان مفرغ لم يبق منه سوى الصورة. أصبحت ملامح الفنان مبعثرة.. لاتجد الملمح الذي يميزها. العينان كأي عينين تبصر ولا ترى.

الكلام كأى كلام يفتقد الانتقاء، الذقن كأى ذقن أطالها صاحبها دون معنى. لكن يبقى شيء واحد... الانحناءة التى تطل من ملامح وجهه وعينيه.. تقول إنه مازال هناك ضوءٌ للفن بداخله. حاولت بكل ماتبقى لدىّ من طاقة، بالحب الذى لا أملك سواه أن أسد التجويف الغائز فيه، وأعطيه اللمسة.. النظرة.. الكلمة. وأعطيه لأسد شيئاً من الفراغ الذى تولد به.

***

هكذا أصبحت حجرة نوافذها مفتوحة عن آخرها تخترقها الرياح من كل جهة تتصارع بداخلها وتترك محتوياتها مبعثرة. تعقدت حالتى لم أصبح أحب واحداً بل ثلاثة أعشقهم كلهم وأعيش معهم كلهم.

يفارقنى النوم وتصاحبنى الحيرة لأى ألم بأى واحد منهم.

لم تتوقف حالتى عند هذا بل تطورت نحو عشق الأشياء حتى الصغيرة العابرة. أهيم بها.. ينقلب كيانى لها، يرتجف كما يرتجف الغصن النامى، ويفور الهيام من العين فتدمع. حاولت أن أجد أية قشة أمسك بها لأقاوم تلك الرياح الهوجاء فأتمكن من السير فى الحياة وأداء واجباتها وحفظ متطلباتها، فلم أجد إلا قبضة يد ضعيفة لا تمسك شيئاً.

لم أعد أذاكر سوى القيام بفتح الكتاب أمامى كصورة. لم أستلق على فراش النوم إلا لأن هناك ساعات مخصصة للنوم. لم أعد أتناول الطعام إلا الفتات لأننى لابد أن آكل. لم أعد.. لم أعد.. لا رغبة فى أى شيء.

إلا أن أحب.

أنت أيها الطفل الرضيع ما أروعك وأنت فى الحضن تقول هزونى.. هزونى ياناس لكى أفارق عالمكم المحدود لأدخل عالماً آخر تتداخل فيه الألوان فلا يصبح هناك لون أحمر أو أخضر أو أصفر.... كل الألوان معاً. تتداخل الأصوات.. ينضم صوت بابا إلى صوت ماما وصوت لعبتى مع

صوت أختى. تتداخل الأشياء سريرى مع سريركم، أنا فى حضنكم، سماء البيت الزرقاء.

هزونى ياناس لأفارقكم.. هزونى.

أصبتنى أيها الطفل بحمى الحب كلما مر أمام عينى صورتك وأنت مغمض العينين تعيد فتحهما كلما توقف الهز، وتزن كالطائر العائد من رحلة طويلة.

آه.. ما أروعك أيها المنزل ذو القمة المثلثة المنحدرة والهلال تقوس فوقها، وخضرة ونبع وصوت ولدين من بعيد يلعبان. وددت لو كنت أنا أنت وفتحت الأبواب والنوافذ ليقبل بخطوات متمهلة كل المحبين نحونا. يعيشون بين جدرانك الحنونة كالقبضة التى تلتقط الكتكوت وتداعب زغبه الناعم.

وأنت أيها الكاتب العظيم يامن كنت تلقى الكلمات فتنبت كتابات طيبة مثلك. تقدم بك العمر وعبرت الثمانين. أمسيت بعد أن خانك البصر تبحث عن الكلمات لتعرفها فلا تستطيع فتلجأ إلى عدستك لتلتقط بها أى شيء. مؤلم أيها الزمن فى قهرك.. جعلتنى لأيام طويلة حزينة.. بحزن حقيقى ذلك الذى يجعل الإنسان يصمت لا يقول إلا كلمتين فقط نعم أو لا. أود لو أخذت من عمرى وأهديته لك بكل انحناء.

الزهرة التى تتفتح انتظرى.. الحياة ليست سهلة كما تتصورين. عودى وضمى ضلوعك واحبسى رحيقك فالمصاصون كثيرون والمعطاءون قليلون. ضمى ضلوعك حتى لا تسقطى كما سقط غيرك من على الغصن.

هكذا تقدمت حالتى إلى منطقة اللاعودة وانعدمت مقاومتى تماماً، وأصبحت نار الحب تكوينى من كل يوم إلى كل ساعة إلى كل دقيقة. عندما نظروا فى حالتى قرروا عزلى تماما عن العالم.. لا يلتقى بى أحد ولا

أشاهد شيئاً. فى حجرة صغيرة قبيحة بلا أية نوافذ، ليس بها إلا سرير واحد أنام عليه بكيان ضعيف أمضى بقية حياتى.

***

تدخل علىّ الفتاة بثيابها البيضاء ووجهها المضيء تقدم لى بعض العصائر. لم تعد لى شهية لتناول أى طعام.. أصبحت سوى موجات من التوتر والتردد. علمت منها أنها تجرى على تربية أربعة أطفال بمفردها بعد أن تركها الزوج. ترتج نفسى. أمعقول خلف هذه الابتسامة الرقيقة، وكل هذا الضياء الذى يشعّ من الوجه لتخفف عنى كل هذا الكم من العناء. احتفظى بابتسامتك لك.. فأنت أولى بها. أنا التى أعطيك ولست أنت. ترتجف نفسى. أشعر أن النغم الذى بداخلى يتسرب منى لينتشر فى الكون. يتسرب.. يتسرب .. موسيقى الفالس تأخذنى معها بعيداً ●

أهى ليلة فى العمر

لقيه خارجاً من مدخل عمارة، عـانقه بحرارة. منذ زمن لم يلتقيا. وجده هزيلاً ضامراً على غير عادته. سأله فـأخبره بمرضه. صرخ قائلاً: من الطبيب المغفل الذى قال إنك مريض بالقلب؟.

أخبره أنه الطبيب الذى يقفان أمام مدخل العمارة التى بها عيادته.

ـ من قال ذلك. مريض القـلب لا يستطيع أن يخطو خطوتين وإلا وضع كفه على قلبه طالباً الستر من الله ليبقى على حياته.

ـ معقول هذا؟.

ـ بالتأكيد لقد كان والداى مريضين بالقلب.

مضى صديق العمـر فى طريقه. نظر نحو يافطة عيادة الطبـيب باستهزاء وسار فارداً جزعه واثق الخطى.

تحت عمود إنارة وقف، أخرج روشتة الطبيب وقلبها على ظهرها وأخذ ينظر فى قائمة الممنوعات. انتابه إحساس مباغت أن حياته شجرة جافة. قرر أن ينازل الممنوعات واحدة وراء الأخـرى ويصيبها فى مقـتل حتى لا تعاود الظهور من جديد فى حياته.

ممنوع الجرى:

أطلق صفـارته وانطلق بين السائريـن ينفذ خلال الممـرات الضيـقة التى بينهم. سيره كان بهلوانياً خطاً راسيـاً خطاً عرضياً ثم ملتوياً ودائرياً. فرج ما بين ساقيه ليـمر طفل من بينهما، وقفز فـوق آخر. جذب امرأة من حقيـبتها وأخـرى من حزامـها وتلقى صـفعـة على وجـهه جـزاءً. ألقى نفسـه داخل مطعم.

ممنوع الملح:

نزقه فى الإكثار من الملح.. وخوفه أيضاً منه. الآن عليه أن يتخلص من الخوف ليعوض ما فاته بسبب تعليمات الطبيب.

ـ واحد إسكلوب، ومكرونة إسباكتى لو تسمح..

أشار له بيده فحنى له هامته ليوشوشه كأن الطبيب خلفه يسجل معصيته.

ـ وواحد ملاحة.. لا هذه ممتلئة إلى منتصفها.

ممنوع الضحك:

بحث عن فيلم لبطل كوميديان لم يجد.. فدخل أى فيلم والسلام. البطل عندما عاد وجد ابنته مريضة بالربو وامرأته تبكى عليها.. ولا يجد فى جيبه مبلغا يمكنه من الذهاب بها إلى المستشفى. سأل نفسه ما هذا الهم الذى على الشاشة.

لقد دخل ليضحك لذلك عليه أن يضحك مهما كانت البلية التى أمامه. ضحك.. استغرب الجالسون ثم ضحك بعضهم معه.

البطل ذهب إلى خزينة الشركة واختلس مبلغاً من المال وهو فى كآبة شديدة.. بينما هو فى الصالة يضحك بأعلى صوته وتابعوه يزيدون عن ذى قبل.

وفى النهاية استطاع البطل إدخال ابنته المستشفى.. لكن القدر لم يمهلها فماتت فنقوده لم تسعفه لأنها حرام. قال: حرام عليكم، وضحك الجميع معه، وعند خروجه من العرض سأل الداخلون الخارجين منه فيردون: فيلم يهلك من يراه من الضحك. ضحك من قلبه هذه المرة وارتجف كيانه.

ممنوع السجائر:

جلس أمام النيل، ملأ خياشيمه بالهواء، أخرج علبة السجائر ذات الماركة المفضلة لديه والتى زاد ثمنها النصف دون أن يدرى. فك غلاف

الورق السوليفان من عليـها وأخرج سيجارة منها أشعلهـا، واستمتع بتلهف ونهم بمذاقها. لم تشبع سيجارة واحدة اشتياقه.

أشعل أخرى ومص رحـيقها مع الأولى فى وقت واحـد. لم يبال بغرابة منظره. المهم ارتواء النفس وفى لحظـات استمـتاعـه شاهد أتوبيس يمـر من أمامه فتذكر إحدى الممنوعات فقفز من مكانه.

ممنوع التشعلق بالأتوبيس:

تسابق مع الاتوبيس حتى لحق به وقفز فيه. عـاد طالباً كما كان منذ أكثر من خمس وثلاثين سنة ويفعل كما كان يفعل وقتها.

أمـسك بحـافـة الباب ولوح بـساقـه وذراعـه فى الهـواء.. ينادى عليـه المحصل زاجراً.. وهو فى انطلاقة الصبا والشـباب لا يبالى.. ولا ينتبه حتى إلى النغزة التى ألمت بصدره.

شاهد امرأة من ظهرها مرسومة القـد مرتفعة العجزين، ولما تخطاها أدار عنقه والتفت نحو وجـهها.. إنها ليلى من كان يحبـها منذ عشرين سنة. دق قلبـه دقة الـعاشـقـين. قفـز من على السلم والأتوبـيس فى سرعـتـه ليلحق بمعشوقته القديمة.

ممنوع الحب:

تقـدم نحوها.. عـرفـها بنفـسـه.. إنه الحبـيب الأول.. مـضت. غمـرها باشتعال إحساسه وعنفوان مشاعره.

فتوقف أمام هذا الإنسان النادر فى هذا الزمان.

حكت قصـتها.. حيـاة عادية تزوجت وسافـرت إلى الخليج وأنجبت ثم توفى زوجها فعادت لتسكن فى بيت امتلكته.

حكى قصته العادية هى الأخـرى.. عمل بشركة.. تزوج وأنجب وأصابه مرض لجم نشاطه. ثم قابل صديقه وتأكـد منه على سلامته، وأن كل ما قيل

له عن سوء صحته ما هو إلا تهاويل أطباء.

قرر أن يحقق حلمهما القديم فى حياة ليلة سوياً معاً.

على الفراش تجردا من القشور وبقيا بنفسيهما.. عانق جسد المرأة بإحساس متوهج للمرة الأولى منذ مرضه. يدق قلبه ويدفع دماء الحياة فى الأوعية ويبثها فى خلية خلية. ينضج جسده زلالاً، وتألقت بشرته بلون برونزى.

أصبح قلبه فرناً كبيراً يصهر جسده فى شكل آخر. يشع لظاً متأججاً.

انهمر على فمها فى عنفوان كما ينهمر كل المطر على عين صغيرة تنحدر نحو باطن الأرض. أحاط جسدها بكيانه الجنى وأخفاها بداخله. اضطرب قلبه وهدأت نيرانه وأصابه الكدر. لكن الفرس المنطلق احتفظ بدفعته.. وعبر خط النهاية.

ممنوع الكلام:

على الفراش الأبيض والأجهزة من حوله تحدث إلى صديقه الذى جاء يعبر له عن اعتذاره وإحساس بالذنب يتملكه.

ـ شكراً لك ●

يحمل أمراضاً

عرفته في أول رحلتـه التي بدأت بأقل القليـل من الحمول فوق كاهله.. بدأها متأخرة بعد أن تجاوز الستين من العمر. عندما رأيته ساعتها تصورت أنه في الأربعين أو الخامسة والأربعين على الأكثر كان بشارب كث ورأس انحسر الشعر عن نصفها الأمامي فكونت مع وجهه الممتلئ استدارة منتظمة كأنها رسمت ببرجل، بينما عيناه ضيقتان كنقطتي بداخل الوجه المستدير.

وجهه مبتسم دائماً حتى لو لم ترسم عليه علامات الابتسامة.. يشير شغفك بمداعبته بالكلمات الضاحكة والنكات الذكية والتورية في الحديث هو يسخر من نفسه.. قال لي في مرة: أشعر أنني لا أرى كل شيء. قلت له: عليك الذهاب إلى طبيب العيون لعل هناك ضعفاً بقوة ابصارك. قال لي: ليس العيب في قوتهما لكن في ضيقهما وأخذ يرجف برموشه عدة مرات فضحكت لأدائه، وداعبته قائلاً:

- بسيطة ضع عدسة على عينيك ليتسعا وترى كل شيء.

فضحك وضاقت عيناه أكثر وقال: ما الفرق سيظل حجم عيني كما هو. كانت كل شكواه أن صداعاً خفيفاً بمؤخرة رأسه. قست له الضغط ففوجئت أنه ٢٥٠ على ١٧٠. قمت منزعجاً من على مكتبي وجذبت ساعده وقلت له: «لا.. قم.. هيا بنا على المستشفى».

- مستشفى لماذا؟.

- ضغطك مرتفع جداً.

- عالجه لي هنا.

ـ مستحيل لابد من مستشفى لأنك قد تصاب بنزيف بالمخ.

ـ نزيف بالمخ إيه يادكتور.. أنا لى شهران وأنا أشكو من هذا الصداع.

ـ شهران؟!.

انكببت على مكتبى جالساً بينما ضاقت عيناه حتى صارتا رأسى مسمار يتحديانى، وارتسم خطا الابتسامة على جانبى وجهه.

ـ بل شهران ونصف. على وجه الدقة.

أسندت رأسى براحتى اليد:

ـ ولم يحدث لك شيئاً؟.

ـ بلى.

ـ وما العمل؟.

ـ أعطنى علاجاً لأستمر عليه.

قررت أن أعطيه حقنة لازيكس لكنه رفض أخذها لأن حالته لا تستدعى كل هذا الاهتمام. حاولت إفهامه أن حالته صعبة ولابد من الحقنة.. أصر على رفضه.

كتبت روشتة علاج ذراً للعيون وأنا أعرف أنها لن تسعف حالته. لأن القاعدة تقول الزبون دائماً على حق.. لعنته فى سرى. سيكون أول مريض فى حدود علمى يدخل عندى ويخرج دون أن يشفى.. بل لعل المنية تصيبه. أخذت أرص له قائمة الممنوعات من السجائر والمأكولات والمشروبات. مضى بجسده المكتنز القصير وذراعيه المنفرجتين بعيداً عن جذعه.. كأنه كابتن رياضى كبير. ناديت عليه بعصبية:

ـ الروشتة.

عاد وأخذها منى وهو يزم عينيه، ويملأ شدقيه بالابتسامة:

ـ آسف لقد نسيتها.

في الاستشارة قال لى أنه تحسن جداً على علاجى. لم أصدق أنه حياً من أساسه. قست له الضغط.. لم ينخفض كثيراً. لم أكذبه.

ـ لا فعلاً تحسنت كثيراً.

ـ بفضل علاجك.. لذلك أستأذنك فى أن تشرفنا بعد غد لكى تحضر حفل زواجى.

ـ أنت.. وفى مثل هذا العمر؟!.

ـ نعم.. أنا.. البركة فى علاجك أعادنى كما كنت.

ـ جائز ؟!.

«لا أعرف إن كنا سنتم جوازك أم سنخرج بجنازتك».

ـ بإذن الله اتصل بى قبلها لتؤكد على الموعد.

ـ انه بعد غد يادكتور أنت لا تصدقنى.. لقد تحدد الموعد وانتهى الأمر ولابد أن تأتى.

ـ كم عمرها.

ـ عشرون عاماً.

ـ عشرون..

ـ صغيرة علىّ لكنها تقول لى أنت شباب أكثر منى.

ـ جائز..

وفعلاً اتصل بى قبلها. اعتذرت عن قبول الدعوة بحجة مواعيد العيادة. وفى الحقيقة كنت أود الذهاب لأرى هذا الكائن الذى على وشك الانفجار من شدة الضغط كيف سيكون فى تلك الليلة.. لكن وضعى كطبيب يفرض علىّ أسلوباً معيناً فى التعامل مع المرضى يعتمد على إقامة مسافة فاصلة بينى وبينهم. سألته إن كان يسير على العلاج سيرا منتظما فقال لى: بصراحة أجلت العلاج لما بعد الزواج

نظراً للارتباك الذى أنا فيه.

قلت له: هل أنت مجنون كيف ستتزوج وأنت بهذا الارتفاع من ضغط الدم. قال لى بكل بساطة ـ وأنا متأكد أنه يزم عينيه الضيقتين ليغيظنى ـ:

ـ يادكتور ماعلاقة الزواج بضغط الدم؟ هل الزواج يتم به أم بشىء آخر. الغبى هذا لا يدرك عاقبة مايفعل. طلبت منه أن يطمئنى عن حالته باكراً وأغلقت السكة.

ظلت صورته معى طوال اليوم كأننى أصاحبه دوماً. عند العصر تصورته تحت الدش يستحم حمام العريس البارد يهبط على صلعته يدق عليها بالإضافة إلى الدق الداخلى من ارتفاع الضغط فيصيرا معاً كحفلة زار على نافوخه.

بالمغرب تصورته يخنق رقبته بياقة القميص ورباط العنق فينضغط شريان الرقبة ويزداد ضغط الدم ولعل عمره ينتهى ساعتها ويريح عروسه من ترمل مبكر. لكن فى المساء سمعت زغاريد وكلاكسات عربات تعلو متجهة باتجاه المنزل الذى سيقيم صاحبنا به فرحه.. فعرفت أنه كالعفريت ومازال يحيا.

كانت الزغاريد وأغانى الأفراح تنطح أذنى من حين إلى آخر أثناء قيامى بالكشف على المرضى.. وهو يجلس فى منتهى السعادة وعيناه الضيقتان تلتهمان الراقصة لا يبالى بارتفاع ضغط دمه. والصور التى يأخذها بالتأكيد سيحيط بها هالة أو شرارة من فوران دمه فيزداد لمعان رأسه.. بينما عيناه وارتسامة الابتسامة على خديه تعيش مع صاحبها فى منتهى السعادة.

عندما عدت ليلاً إلى المنزل كنت مجهداً من كثرة العمل ولم أستجب

لنداءات زوجتى بينما هذا العجوز المجنون يقضى ليله حباً وهياماً مع عروسه. لكن لم أستطع تصور أنها يمكن أن تنتهى على خير.. لابد أن هذا الغرام والهيام سيزيد من ارتفاع ضغط دمه بالتالى سينفجر عضوه المسكين بداخل عروسه.

فى اليوم التالى لم أستطع المكوث حتى يتصل بى وأعرف أحواله وبادرت أنا. جاءنى صوته.. إنه مازال حياً إذن.

ـ كيف الأحوال.

ـ تمام التمام.

ـ قضيت ليلة سعيدة؟.

ـ منتهى السعادة.

ـ استطعت أن تقوم بمهمتك إذن.

ـ نعم وبكل كفاءة.

ـ يكفيك مهمة واحدة فى اليوم.

ـ مهمة واحدة؟. لقد قمت بثلاث الأمس.. وواحدة اليوم.

ـ أنت مجنون؟.

ـ وما العيب طالما أننى قادر.

ـ وضغط دمك؟

ـ نسيته وسط ازدحام السعادة التى أحيا فيها.

لم أطل معه الحديث لأنه بالتأكيد حديثى معه سيصيبنى أنا بضغط الدم. لم أفكر بعدها بمعاودة الاتصال. بصراحة كنت مشفقاً على الطب من أن يستمر واحد مثله فى الحياة يؤدى مهامها على مايرام وبل على خير مايرام دون أن يأخذ علاجاً.

بعدها بعدة شهور قابلته بالصدفة. كان يسير واثق الخطى وزوجته الشابة

تتأبط ذراعيه. سألته عن صحته كسؤال تقليدى ليرد على رداً تقليدياً: «الحمد لله». لكنه اشتكى من صداع ورفرفة فى القلب تعاوده كل عدة أيام.

سألته إن كان يأخذ علاج الضغط.. قال لى إنه استمر عليه لمدة شهر بعد الزواج كما وعدنى ثم توقف عنه. ثرت عليه وأنا كلى تصميم أن ألقنه درساً. «ألم أقل لك لابد أن تستمر على العلاج بشكل منتظم ودائم ، وقلت لك أن تتابع حالتك معى.. أنت مجنون لا تبالى بالضرر الذى سيلحق بك من جراء ارتفاع ضغطك.. أتريد أن تموت وتترك زوجتك الشابة تترمل» زم عينيه بلؤم: «لا تغضب يادكتور سأزور حضرتك فى العيادة وسأكشف».

جاءنى. ضغط دمه مازال مرتفعاً.. تضخم القلب وصارت ضرباته غير منتظمة. ها أنت الآن تدفع ثمن عنادك معى.. لقد تأثر القلب من ارتفاع الضغط. وضعت له علاجاً وطلبت منه الراحة التامة وأن يقلل من واجباته الزوجية.. سمعنى وهو صامت. ولأول مرة أشعر أنه منكسر حزين.. قلت ربنا يهديه ويبطل شقاوة.

بعد العصر سمعت عدة صفارات متتابعة من آلة التنبيه.. وصوت ينادى علىّ.. فنظرت من نافذة منزلى فوجدته واقفاً أمام العربة يرتدى شورت وفانلة وبداخل العربة زوجته وسنارة. أشار لى بيديه بأنه سيذهب للبحر، وأرجح ذراعيه فى الهواء سابحاً. ضربت كفاً بكف صحت بأعلى صوتى أتذهب للعوم.. أأنت مجنون؟.

صاح هو: أخذت علاجك فى الصباح وشعرت بتحسن من جرعة واحدة.

ياسلام أيظن نفسه حائطاً مائلاً يمكن استعداله بين يوم وليلة.

ـ عن إذنك المدام تريد منى أن أنزهها. وافق من أجل خاطرى.

أمهتم أنـت بموافقتى إنها مجـرد إقرار بما قررت عمله. أشـرت له بيدى بكل ضجر أن يمضى ويبتعد عنى لعل البحر يبتلعه ويريحنى.

أثناء دخوله العـربة شاهدت آثار إصابة قـديمة بفخذه.. تقـريباً من آثار رصاصـة.. غريبـة لم يحك لى عنها شـيئاً.. ومـضى. إنه الآن أمام البـحر. سيـحاول جـذبه برائحتـه وجمال المـوج، الموج المتأرجح الراقص وامتداده اللامتناهى وتقوسـه فى الأفق ولأن صاحبنا مقبلاً على الحـياة بدون حساب سـينجـذب نحوه بمجـرد دخـوله. سـيكتشف أنـه كالمرأة اللعـوب يصـعب التحكم والسيطرة عليها وتديخ من يقتـرب منها السبع دوخات.. سيضرب بذراعيه فى الماء مرة.. اثنتين ثم يدرك أن الـبحر قوى برغم أن بنيانه من الماء وأن قلبه الضعـيف لا يقوى على جبروت أمواجه فيـغطس فى جوفه.. وإذا أراد له الحياة.. بالتأكيد ستكتب له لأنه بسبعة أرواح.. فيأتى إليه من ينقذه.

قالـت لى الممرضـة إنه يريد أن يدخل إلىّ. هاهو قد أتى إلىّ لأكـتب له علاجاً جديداً يناسب ما أصابه من البحر. وضع أمامى سلة ورائحة السمك تفوح منها.

ـ قررت أن أقتسم الصيد بينى وبينك مكافأة لك عن مجهودك الكبير معى.

ـ وسبحت؟.

ـ نعم إلى موضع الصخرة وعدت وأنا أدعو لك «يارب يحميك يادكتور».

قست له النبض وسمعت صدره. حـالة قلبه كما هى. عليك أن لا تكرر مافعلتـه اليوم وتلتزم الراحة. ومن غيظى لم أتذكـر أن أسأله عن الندبة التى بفخذه.

بعـدها بعدة أشـهر جاءنـى العيادة وتـبعتـه زوجتـه الشابة فى الـدخول معقولة أزوجته حامل؟.

ـ مبروك للمدام.

ـ الله يبارك فيك.

ابتسم ونظر نحو زوجته بنظرة فرحة لا تضاهى ابتسامته:

ـ زوجتى ستملأ علىّ الدنيا من جديد بالأولاد إنها حامل فى توأم.

ـ فى ماذا؟!.

ـ توأم.. اثنان يعنى.

ـ غريبة والله.. أنا ـ الدكتور ـ لا أعرف معنى كلمة توأم. المهم ما أخبار صحتك؟.

اشتكى من ألم بجانبه. قمت بالكشف عليه. ضغطه مرتفع كما هو.. ضربات قلبه المتضخم سريعة وغير منتظمة وازداد عليه تعب الكلى اعتبرت ارتفاع ضغط الدم واضطراب قلبه شيئان طبيعيان، وأصبح همى البحث عن سبب التعب الجديد.

عاد إلىّ ترافقه زوجته وقد أجرى التحاليل اللازمة. لم أسأله عن صحتها لأنى خشيت أن تصبح حاملاً فى ثلاثة. فحالته أعادت زمن المعجزات. وفعلاً تبين لى من فحوصاته أننا فى هذا الزمن فهو مصاب بأملاح وصديد فى البول وفشل كلوى. أمعقول ياربى مصاب بكل تلك الأمراض ويأتى إلىّ ويزورنى فى العيادة ويمضى فى الحياة بكل بساطة.. غيره كان سيقضى بقية عمره بالمستشفى وحوله أجهزة لغسيل الكلى وتنظيم ضربات القلب وأخرى لقياس حالته الصحية.

كإجراء روتينى كتبت له روشتة وزدت قائمة أخرى بالممنوعات وسلمتها له بهدوء المستسلم ولم ألح عليه فى الاستمرار والمتابعة ككل مرة. وفى لحظة أفقت وناديت عليه وهو عند الباب ماسبب الندبة التى بفخذك؟.

ـ أتريد أن تعرف سرى الآن سأحكيـه لك فى الزيارة القادمة لأن روايته ستطول. ومضى الملعون دون أن يحكى لى شيئاً.

فكـرت فى فـكرة مسابـقـة تصلح له.. مسابقة أقوى المرضى. بالتـأكيد لو أجـريـت سـيـفوز بـهـا. وتساءلت لماذا أقـوى المرضى وقوته أقـوى منا نحـن الأصحاء. عـندمـا شـاهدت سباق اختراق الضـاحية الذى يشتـرك فيه المتسـابقون من مختلف الأعمار. بالتأكيـد يمكنه الاشتراك به. سيسير سيراً منتظمـاً وقويا أفـضل من قلبـه ألف مرة ويمكنه الـفوز أيضـاً. قبل النهـاية سيقول بلؤمه:

«قلبى.. قلبى» ليكـشف عن مرضـه ويظهـر تحديه للجـمـيع أنا المريض استطعت الانتصار عـليكم.. ثم يغمز بعينه المغموزة أصـلاً ويمضى ليحقق فوزه.

عندما تابعت حيرة فريقنا القـومى فى تحقيق الفوز قلت آه لو أنى بمكنه بمفرده أن يأخذ الكرة من عند مرمانا ويـمضى بها يرقص خط هجوم الفريق المضاد ثم خط المنتصف ثم خط الدفاع ويحرز هدفاً.

وأصبح طيفه دائماً يشغلنى.. إذا أصـابته نوبة بقلبه وسقط أمام أنوبيس خلته يمـضى عليه دون أن يصيـبه خدش. وإذا رأيت فناناً فى أحـد الأفلام محتـاراً مع البنات رأيته والبنات تتتابع عليه واحـدة وراء الأخرى.. تداعبنه وهن فى غاية الاستمتاع. ودون أن يصيبه هو التعب.

سـقطت عـمـارة لضـعـف الأسـاسات . تـصورته فى مكـان العمـدان يحمل عمـارة من ثلاثيـن أو أربعين دوراً على كتفيه دون أن تسقط أو يكل هو.

تبعـته زوجته فى الدخـول كانت تحمل أحد الطفلين، ويحـمل هو آخر. بطنها متكورة من جديد.

ـ المدام؟.

ـ نعم.

أشرت بإصبعىّ

ـ لا.. واحد فقط هذه المرة.

ـ أين أنت من أيام الشباب عندما كنت تحرز طفلين.. من ركلة واحدة؟.

ـ نعم أين أنت من تلك الأيام لقد ظهر لى تعب جديد ببطنى.

كشفت عليه وتبين أن لديه تضخماً بالكبد. نعم أين أنت من أيام زمان عندما كان لديك فقط ضغط الدم والقلب ثم الكلى. أشفقت عليه عندما رأيت استسقاء ببطنه.. كيف يتحمل هذا الكيان كل هذا الكم من الأمراض. لأول مرة وددت أن أعانقه وأربت على ظهره.. وازدادت قائمة العلاج والممنوعات. عندما قلت له: يحذر عليك السير لمدد طويلة.. تذكرت إصابته وسألته عنها.

ـ تحوم أنت حول سرى.. أثناء القتال فى ٥٦ قبضت على جنديين وسحبتهما وقتلتهما بالسلاح الأبيض انتبه الثالث لوجودى فأطلق علىّ الرصاص فأصابنى فى فخذى.

ـ آه فهمت.

ـ الحكاية لم تنته.

ـ أكملها.

ـ المرة القادمة: الوقت متأخر وزبائنك كثيرون.

لابد أن يتركنى وأنا حانق عليه برغم أننى فى هذه الزيارة أظهرت تعاطفاً معه.

من تعليماتى له أن لا يأكل سميناً.. يومان سيلتزم فيهما، ولعل بعدهما يجلس على مقهى ويطلب علبة سمنة بلدى ليشربها ويفرج الخلق علىّ.

يبدو أننى حسدت الرجل لم يمض أسبوعان وعاد إلىّ وحالته متدهورة. أنفاسه متتابعة يلتقفها بصعوبة وزرقة تغطى جسمه.

ارتشاح بالرئة وفشل بالجهاز التنفسى. أحضرت اسطوانة الأكسجين ووضعت الكمامة على وجهه وأعطيته أمبولات لازيكس وأمينوفللين جلست أمامه وتأملته. عيناه الضيقتان أراهما لأول مرة كضوء شمعة يمكن أن يهتدي به الإنسان ولكن رياح شديدة تهزه.

أعطيته أمبولات أخرى. عدت إلى عينيه.. قوى ضوءهما. ربت على فخذه فلامست يدى موضع الإصابة. انتبه وأخذ ينظر إلىّ لفترة ثم تكلم بهدوء:

ـ نفس الموقف تكرر لى بعد الاصابة.. شعرت أننى مقبل على الموت وأنه يجب علىّ أن أمضى فى طريقه. لكن ألم الاصابة كان مبرحاً جعلنى متوتراً وثرت لمرأى دمائى. ودبت فىّ روح جديدة قوية تستهين بكل شىء. قمت وأنا غارق فى دمائى أهاجم فرداً من قوات العدو فأصيبه بسلاحى. قررت الهجوم على شخص آخر.. ولا أتذكر كم شخصاً أصبت لأننى عندما أفقت وجدت نفسى فى المستشفى العسكرى والجميع يكرمنى.. ومن يومها وأنا أشعر أن بى قوة رغم سنين عمرى وعدد أمراضى.. ألا كم هو عددها.

ربت على فخذه: لاتتعب نفسك فى العد.

بعد تحسن حالته.. طلبت منه أن يلتزم فى علاجه.. إن لقوة الجسد مهما كانت حدود لا تتعداها.

من يومها تغير شعورى نحوه تماماً من الحنق عليه والنقمة منه لاستهتاره بمهنة الطب والغيرة أحياناً إلى شعور بالحنو والشفقة عليه.. والفهم. لكن الغريب أنه لم يعاودنى لزيارتى مرة أخرى وسمعت أنه يتابع علاجه مع

طبيب آخر يسير معه نفس سيرته الماضية معى.. ولا أعرف بعد مضى خمس سنوات من آخر زيارة له أكان مستمراً فى الحياة يحمل أثقالاً جديدة من متاعبها وأمراضها على كاهله.. أم أن جسده ارتاح منه وتوقف عن الحمل وسقط بما حمل ●

سقوط الشمس

مستلق على سريره.. جسد ثابت. أطرافه ممدودة بلا حراك كأنما دقت على صليب. صدر منبعج يعلو.. ويهبط في تتابع. رياح تخرج وتدخل كهف فمه. كل عضلة من الوجه متوترة ومشدودة بجوار الأخرى تؤكد أن صاحبها يعاني لكي يستمر في الحياة.

العينان منفرجتان جاحظتان.. نظراتهما ملتهبة كشمس الظهيرة كأنما تستنجد من حريق داخلي.. تستغيث «انقذني يادكتور».

أعلق المحاليل وأعطيه العقاقير اللازمة على أمل أن يشفى.

خارج الحجرة يتبعوني.. يلتفون من حولي.. كالوحوش الضارية. أخضع لهم وأقعد في صالة انتظار الزوار.

ـ أهناك أمل يادكتور؟.

ـ ربنا يسهل.

ـ يعني الأمل موجود؟.

ـ بإذن الله.

ـ نريد أن نعرف رأيك كطبيب؟.

ـ حالته متدهورة.

وقفت لأنصرف.. وتقدم نحوي وحش ضخم كالفيل الإفريقي هاجماً.. جعلني أتراجع وأهبط على مقعدي:

ـ كيف يكون هناك أمل وحالته متدهورة؟.

ـ من حضرتك أولاً؟.

ـ أنا أخوه.

قلت وأنا أرمقه بالطول والعرض.. كيف يكون هذا الكائن الضخم أخا للنائم «المسفوط» الذى بالحجرة:

- أنا قلت ربنا يسهل.

قالت امرأة مسنة منحنية على عصاتها:

ـ يعنى الأمل موجود.. أنا أمه وليس لدىّ مثله.

ـ موجود.

استعذت بالله من أن تلحق تلك المرأة بابنها وتصبح مهمتى انقاذ اثنين وليس واحداً.

تدخلت المرأة الأخرى على الفور وهى تضع ساقاً على ساق وتدخن سيجارة.

ـ خذ بالك منه لديه ثلاثة أولاد وزوجة ـ تشير نحو نفسها ـ سيشقون فى الحياة إذا ذهب.. حافظ عليه.

لم أصبح مسئولاً فقط عنه.. بل وعن أولاده وزوجته.. لاحول الله يارب أى خطأ منى سيهدم مستقبل تلك الأسرة.

صاحت المرأة المسنة:

ـ أتفكرين فى نفسك وأولادك وتنسينى؟ه.

قامت الشابة تطفئ سيجارتها فى المطفأة وهى تتحدث غاضبة: دائماً ياحماتى توؤلين كلامى تأويلاً سيئاً..

صاح شخص يرتدى بذلة برابطة عنق شيك.

ـ اهدآ.. الموقف لا يتحمل النقار.. تفضل أنت يادكتور.

وضع يده فى ساعدى.. صحبنى حتى وصل حجرتى. شكرته وجدته يجلس أمامى بجوار المكتب.

ـ تصور مدى الصداقة التى تجمعنى به. نحن أصدقاء منذ الطفولة أول

هدف أحرزته كان فى مرماه.. أصل أنا لاعب كرة سابق. عندما أصيب ساقى بكسر.. ظل بجوارى ليس فقط حتى التآم الكسر.. بل حتى استعدت لياقتى وثقتى بنفسى.

مد يده بسيجارة نحوى وأشعلها لى. قال وهو ينثر دخان سيجارته:

ـ أنت تعرف أغنية عبدالحليم «احنا الاتنين قلبنا واحد دقته عندى وعندك....».. أنا وهو كذلك.. لا تتصور مدى معاناتى وهو يتنفس بصعوبة.. تذكرنى باللحظات الأخيرة من المباراة.. لكنى أنا أستريح بعدها وتهدأ أنفاسى.. أما هو فلا أعرف.. أهناك أمل حقيقى؟.

ـ ربنا يستر..

– حضرتك لا تسعفه وحده فقط.. بل أنا معه فهو الصديق الوحيد مشاكلى عنده ومشاكله عندى.. لو جرى شىء. بعد الشر سأكون أنا المتوفى لأننى سأصبح وحيدا فى الدنيا.

ـ سأعمل كل ما فى استطاعتى.

ـ أنا آسف أنى عطلتك.. لكن أعرف أن الطب مهنة إنسانية قبل كل شىء.. وأنا أردت أن أحدثك عن شجونى.. عن إذنك. تركنى وهو يلقى نظرة طويلة وثقيلة نحوى.. كأنما يحملنى مسئولية حل مأساته. شعرت أن الأم والأخ والزوجة والصديق يتعلقون بعنقى لأنقذهم من الغرق معه.

أعود إليه أجد العينين كما هما بنظراتهما الملتهبة تستجير بى. يلتف الأهل من حولى: «أملنا فيك».

ـ وفى ربنا.

نظراتهم مثل نظراته ممتلئة بالقلق، متعلقة بى أنا لكى أنقذه..

الضوء الخارج منها يؤلمنى.

أخوه السمين نظرة عينيه.. كنظرة السجان.. تقيدنى فى مكانى.. كأنى

فى زنزانة متراً فى متر. نظرة أمه تستعطفنى.. تترجانى كأنها تزحف من خلفى وتمسك بملابسى جاذبة.. تستحلفنى بالله أن لا أتركه.. وصديقه كلها عتاب وزوجته كلها حساب وإنذار إن فشلت.

أهرب فى مكان مظلم والعيون تضاء واحدة تلو الأخرى. يتردد مع إضاءتها صوت صاحبها كطرقعة القلم على الوجه «انقذه» أسجد وأضع رأسى بين كفى.. أناجيهم بصوت مكتوم «ارحمونى.. اتركونى.. اجعلوا تلك المهمة لغيرى»، تتقدم الأيدى نحوى لتحملنى نحوه.

أصل إليه وأنا متهالك. صدره يعلو ويهبط، والهواء يدخل ويخرج ثم يتوقف للحظات ثم يرتفع صهيل المعركة. أنظر إلى عينيه.. شمسهما هبطتا قليلاً آفلتين.

أنادى فى صحراء واسعة: «يارب». تسربت قوة إلى جسدى.

أستخدم سيوفى القصيرة لأضعها فى طريق الوحش القادم.

أمبول آخر بالوريد وآخر بالعضل. استنشاق أكسجين.

تعود الشمسان إلى توهجهما. أطير من الفرحة وأعلو فوق العالم أغرق.. أكيدُ الوحش «لقد استطعت عرقلتك».

الأم تمسك يد ابنها وتربت عليها. تحدثه وهى تتكىء بذقنها على عصاها ناظرة نحوى: ستنجو يابنى وتعيش.

الزوجة تفتح حقيبتها وتخرج علبة سجائرها وتشعل واحدة بتوتر:

ـ الحمد لله عيناه برقتا من جديد. يارب استر ماذا سنفعل فى الدنيا بدونه.

الأم تحدثها غاضبة: أتشربين سيجارة أمامه وهو فى تلك الحالة. يتقدم الصديق نحو الزوجة ويسحبها نحو الخارج وهى تثرثر بكلمات غير مفهوم منها سوى أنه يمثل بالنسبة لها الماضى أم هى فهو الحاضر والمستقبل.

أتحرك لأنصرف.. أخوه السمين يتبعني:

ـ لا تتركه يادكتور.

ـ حالته تحسنت.

- إذا تدهورت سأعود.. أبعد عنه بعض الوقت مراقبته تجعلك متوتراً.

مضى معي يحدثني ودفعت ثمن نصيحتي.

ـ منذ نعومة أظافرنا ونحن نكمل بعضنا البعض.. أنا سمين وهو رفيع.. إذا احتاج الأمر إلى حمل أشياء تركها لى، وإذا احتاج إلى مجهود وسرعة وخفة تركتها له. أنا كثير الهزر.. أشيع فى البيت ضحكاً وهو «رزين» يتأمل الأشياء ويحدد طبيعتها ويرسم الطرق المختلفة للخروج من المشاكل. إذا احتاج الأمر «عركة» للدفاع عن بيتنا كنت أنا فى المقدمة، وإذا احتاج إلى التروى والمكيدة كان هو. لا يتم الحفاظ على بيتنا إلا بنا نحن الاثنين.. أنا وأخى كنا كما تحدث الرسول كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

ـ ربنا يساعدنى ويستمر بنيانكم المرصوص كما هو.

ـ وجوده مسألة حياة أو موت بالنسبة لى.. إنه أخى.. ألا تعرف معنى الأخوة.. إنه شيء.....

بينما يشرح معانيها بساعديه الضخمتين ضارباً بهما الهواء..

جاءت الزوجة من بعيد تولول:

ـ زوجي يادكتور. زوجي.

ـ ماله.. تركته منذ دقائق وحالته متحسنة.

تحركت معها وأنا أعرف تضخيم المرأة للأمور.

أنظر باتجاهه لأؤكد لها تحسن حالته. أفيق من نشوة الانتصار المؤقت وأجد شمسي عينيه تبدآن فى السقوط وعجلة صدره بدأت تسرع من جديد.

أعود إلى أرض المعركة كجندى ممزق الثياب.. مثخن بالجراح.. مشتت العقل.

أنا وشمسا عينيه في المواجهة. بهدوء حزين منكسر تناديني لألحق بهما قبل السقوط وأعيدهما. أعدت العقاقير التي أعطيتها من قبل ولم تفلح. نظرة عينيه شاحبة كأنها من خلف سحابة. أتأمل نفسى فى قاعهما صورتى ضئيلة، مقلوبة. أود لو ألقيت نفسى فى شمسى عينيه لتأخذانى معهما فى أفولهما أو أحترق وأتخلص مما أنا فيه.

يلتفون من حولى ما الموضوع.. يرجونى أن أستمر فى المحاولة. كأنهم يركعون أمامى ويرفعون أيديهم بالدعاء: «أنت مخلصنا».

أتجنب النظر إلى عينيه. أتجه إليهم وأستمد من نظراتهم قوة. أهبط على صدره أضغط وأرتفع من على ضلوعه حتى يعاود التنفس المستمر. أقبل فمه أدفع هواء من عندى. أرفع يدى إلى أعلى وأهبط كطائر ضخم يود اقتناص الضحية من الأخطار ويرتفع بها. أرتفع وأهبط.. أود الغوص داخل الصدر لأحرك تيار النهر ليتورد الجسد من جديد. أرتفع وأهبط أرج قلبه.. أصيح فيه لا تدع أثمن شيء يفلت من بين يديك.. امض فى نبضاتك.. عافر ولا تتوقف أبداً. يا أذرعة البشر تجمعى فى ذراعى أعطونى قواكم. لا تنظروا إلىّ هكذا فأنا عبد ولست إلاهاً. يا أنفاس الكائنات والبراكين والمزارع انضموا إلىّ لننطلق داخل الجسد لنزمهر فيه لعل الوحش القادم يفر ويعود الجسد للارتجاف.

أمه تقف فى الصحراء وحيدة تصرخ: «ولدى» وأنا أمامها عن بعد بحجم الطفل والرمال تبتلعنى. يأتى أخوه ويمسك بى ويرفعنى ويدفعنى نحو تابوت أخيه. أجلس القرفصاء بجوار جثمانه وزجاجات المحاليل والامبولات التى أعطيتها له متكومة حوله. أتحاشى النظر إليه، وأرقب من

خلف قضبان نافذة صغيرة بالتابوت هيئة المحلفين الجالسين على المنصة يرأسها صديقه. تقف الأم أمام المنصة، ترتفع عصاها وتشير نحوى بحركة عصبية.. تصيح ويعلو صوتها بكلام لا أسمعه.

يمضى الأخ ليكون بينى وبين المنصة فيسد عنى رؤيتها ويجلجل صوته فى القاعة: هو القاتل، ويطلب الاستعانة بأستاذ جامعى.

يقف بالبالطو ويحدد مسئوليتى وأخطائى.

أولاً: لم يعط العقار الفلانى.. «ماذنبى العقار غير موجود بالمستشفى».

ثانياً: أعطى العقار الفلانى.. «ماذنبى هو العقار المتاح بالمستشفى».

ثالثاً: أسرع فى إعطاء الأمبول الفلانى.. «ماذنبى الممرضة هى التى أسرعت فى إعطائه».

رابعاً: لم يضعه على جهاز التنفس الصناعى.. «ماذنبى كم جهازاً موجوداً بمصر كلها».

خامساً: سادساً.. رص مائة خطأ مهنى، ولم يذكر مما فعلته كله عملا صحيحاً ابن... كل هذا ليعملوا هم ويستولوا على المرضى.

تنطلق الزوجة بشرر غاضب من عينيها ومعها الأولاد. تجذب رأسى من بين القضبان وتلقفنى عدة صفعات متتالية «يامجرم» ويتبعها الأولاد بلكمات تخترق جوفى.

الشمسان تهبطان باتجاه نهاية الأفق.. لا ترحلا انتظرا. أستحلفكما بالله أعطونى حبالاً لأربطهما وأمنعهما من الانزلاق. اصبرا سأبذل قصارى جهدى ـ سأسفك دمائى لتطفيا فوقها. العويل يعلو، والصراخ يرتفع: «انقذه يادكتور».. «الحق به».. «الرجل سيذهب يادكتور».. «نقبل يدك.. نسجد لك.. المهم أن تنقذه».

أخوه. يخرج من جثته طفل يبكى «أخى لاتتركنى.. لاتدع فرعك يسقط

من جواري وأصبح عرضة للرياح بمفردي.. كيف سنحمي شجرتنا من بعدك».

أمه.. عيناها تتبعان عينيه وتخسفان وسط قطرات الدموع. ألقت زوجته علبة سجائرها باتجاهي وهي تلعن الأطباء والطب. الصديق في ركن الحجرة صامتاً.

يبدو أن عليّ أن أسلم وأبحث عن الهرب وأتركه يذهب في سلام..

لكن كيف ودائرة الواقفين تلتف حولي تخنقني. «فلتجرب المحاولة الأخيرة» أرتفع وأهبط على الجسد الساكن كآلة «الحفار». أتصبب عرقاً.. ألهث.. صدري يعلو ويهبط ويستنجد.. يريد هو الآخر من يسعفه، والقلب يدق الطبول. جسدي أصبح كالماكينة لاتدري مغزى حركتها برغم استمرارها فيها. شمس عيني بدأت تسقط هي الأخرى.

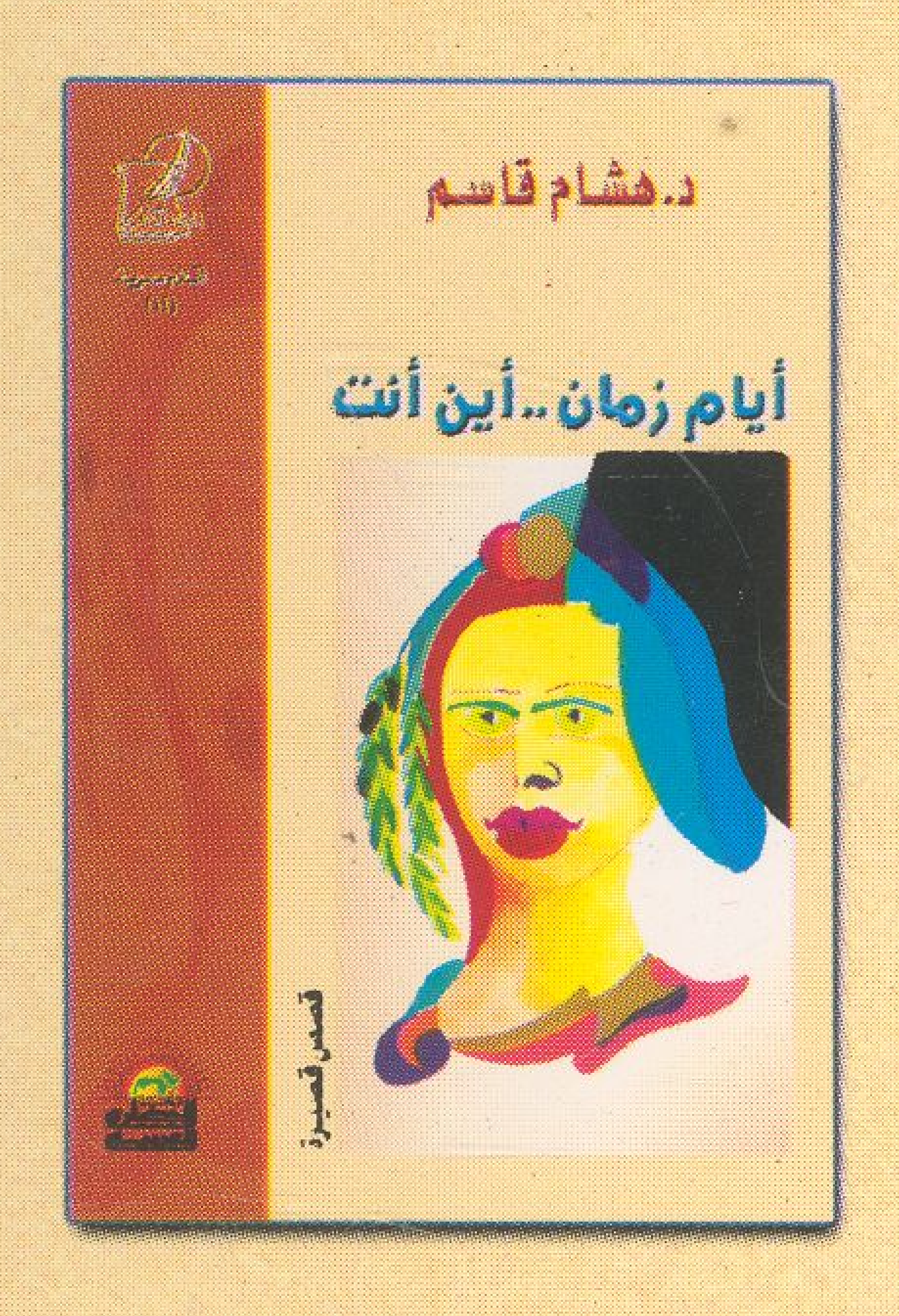
وأجيج المعركة مستمر. شمسا عينيه تدنوان.. تدنوان حتى سقطتا. الجميع ينفض من حولي يمسكون بمن كان.. يبكون.. يصرخون.. يخرجون.. مولولين. أتوقف وأستلقي بجواره في الظل، العرق يغسلني، أنفاسي تتسابق، أصبح صدري مثل صدره قبل توقفه. يعلو ويهبط والقلب ينفر.. وبكل قواي أحاول أن أمنع شمس عيني من السقوط ●

المحتويات

أقلام مصرية

صدر من هذه السلسلة :

وما زال الدم يبوح	شــعــر	محمد فهمى سند
تيك أواى	قــصــص	حجاج حسن أدّول
الحرب الثالثة	روايــــة	عبد المنعم السلاب
أمواج في بحر الحروف	شــعــر	فوزى خضر
بكائية للوطن والغربة	قــصــص	رأفت سليم
فنون الواو - الموال - الموشح	دراسات نقدية	عبد الستار سليم
الزجاج المكسور	قــصــص	د. غبريال وهبة
شقة الهوى والهوان	روايــــة	د. إيهاب سلام
اسكندرية المهاجر	شــعــر	أحمد فضل شبلول
تغريبة الخواص	روايــــة	عبد الحميد السداوى
ظل باب	قصص قصيرة	أحمد محمد حميدة
الخيول الشاردة	روايــــة	بهى الدين عوض
طوفان النار	قصص قصيرة	محمد حافظ صالح
أيام زمان .. أين أنت ؟!	قصص قصيرة	هشام قاسم
على المواجع	شــعــر	على السويدى
حبيبتى والخيل والضفيرة	شــعــر	محمد صلاح الدين السعيد السقا
لو أنك يا حب تجيء	شــعــر	ناجى عبد اللطيف
انشطار التاج	مــســرحــيــة	محمد حمد حمد
احضنوا الشمس، المولود .. المفقود	مسرحيتان	محمد كمال محمد
ابن عروس ، الفلاح الفصيح	مسرحيتان	محمد نصر يس



أيام زمان.. أين أنت

يبدو أن علىّ أن أسلم وأبحث عن الهرب وأتركه يذهب فى سلام.. لكن كيف ودائرة الواقفين تلتف حولى تخنقنى. «فلتجرب المحاولة الأخيرة» أرتفع وأهبط على الجسد الساكن كآلة «الحفار». أتصبب عرقاً.. ألهث.. صدرى يعلو ويهبط ويستنجد.. يريد هو الآخر من يسعفه، والقلب يدق الطبول. جسدى أصبح كالماكينة لا تدرى مغزى حركتها برغم استمرارها فيها. شمس عينى بدأت تسقط هى الأخرى.

وأجيج المعركة مستمر. شمسا عينيه تدنوان.. تدنوان حتى سقطتا. الجميع ينفض من حولى يمسكون بمن كان.. يبكون.. يصر
يخرجون.. مولولين. أتوقف وأستلقى بج
الظل، العرق يغسلنى، أنفاسى تتسابق
صدرى مثل صدره قبل توقفه. يعلو ويهبط
ينفر.. وبكل قواى أحاول أن أمنع شمس
من السقوط.



